جامعة جرش
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

صورة المهجــوِّ في شـــعر النقـــائض

The Image of the Satired in the Pastiche Poetry

إعداد الطالب

لؤي موفق الحاج علي

إشراف الدكتورة

نجود عطا الله الحوامدة

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

جامعة جرش

حزيران، 2015

التفويض

أنا لؤي موفق الحاج علي، أفوض جامعة جرش بتزويد نسخة من رسالتي المعنونة بـ **(صورة المهجوّ في شعر النقائض)**، للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم، حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع: .....

التاريخ: ١٥/٦/٢٠١٥

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة المعنونة بـ (صورة المهجوّ في شعر النقائض)، وأجيزت بتاريخ:

2015/6/9

أعضاء لجنة المناقشة:		التوقيـــــع
الدكتورة: نجود الحوامدة	مشرفاً رئيساً	.....
الأستاذة الدكتورة: أمل نصير	عضواً	.....
الدكتور: علي المومني	عضواً	.....
الدكتورة: أروى محمد ربيع	عضواً	.....

الإهـــــداء

إلى بسمة الحياة وسرِّ الوجود، إلى من كافحت ولا زالت تكافح، إلى من كانت الأم والأب والصديق، والدتي . . . . . (بارك الله بقاءك)

إلى من كلَّله الله بالهيبة والوقار، إلى من أحمل اسمه بكل عز وافتخار، والدي العزيز . . . (عافاك الله)

إلى من تحملت وصبرت ووقفت لجانبي بكل لحظات إنجاز هذا العمل . . . . . زوجتي الغالية

إلى من لا قيمة للحياة بدونهم، إلى إخوتي ورفاق دربي . . . . . محمد وأحمد

إلى النفوس العطرة، والقلوب الرقيقة . . . . . أخواتي

إلى من اشتاقت العيون لرؤيتهم . . . . . أصدقائي

إلى الوطن الغالي سوريا . . . . . فرَّج الله همك عاجلاً

إلى كل أولئك أهدي رسالتي

شكر وتقدير

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:

يطيب لي أن أتقدم بوافر الشكر، وجزيل العرفان لجامعة جرش، وأخص بالذكر كلية الآداب، ممثلة بعميدها الأستاذ الدكتور محمد أحمد ربيع، وأعضاء هيئة التدريس فيها.

والحقيقة أن هذا البحث لم يكن ليبرز بهذا الشكل، لولا إرشاد أستاذتي الكريمة، الدكتورة: نجود الحوامدة، التي لم تدَّخر جهداً في مساعدتي وتوجيهي في معظم أقسام هذا البحث، فإليها أقدم خالص شكري وتقديري.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل أعضاء لجنة المناقشة، الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتحملوا عناء قراءتها وتقويمها وإثرائها، فلهم مني عظيم الامتنان.

والخير كل الخير في أولئك الأصدقاء الذين هم في داخل سوريا أو خارجها أقدم لهم عظيم شكري وخالص امتناني.

وَآخِر دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْد لِلَّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ

الباحث

لؤي موفق الحاج علي

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
التفويض	Error! Bookmark not defined.
قرار لجنة المناقشة	Error! Bookmark not defined.
الإهـــداء	ج
شكر وتقدير	د
قائمة المحتويات	ه
الملخص باللغة العربية	ز
المقدمة	1
الفصل الأول: النقائض في الشعر العربي	
المبحث الأول: النقائض وأصولها، وظروف نشأتها، وتطورها في العصر الأموي	8
النقائض في اللغة والاصطلاح	8
أصول النقائض	9
النقائض في العصر الجاهلي	14
النقائض في العصر الإسلامي	22
النقائض في العصر الأموي	28
عوامل نشوء النقائض	33
1. العوامل السياسية	33
2. العوامل النفسية	34
3. العامل الاجتماعي	34
4. العامل الموضوعي	34
المبحث الثاني: من شعراء النقائض في العصر الأموي	38
أولاً: البعيث المجاشعي الدارمي	38
ثانياً: عمر بن لجأ التيمي	41
ثالثا: سُراقة البارقي	45
رابعاً: الراعي النميري	50

الموضوع	الصفحة

أبرز شعراء النقائض 53
1. الفرزدق:110هـ_ 728م 53
2. جرير بن عطية:28هـ_110هـ 54
3. الأخطل:19هـ_90هـ 55

الفصل الثاني: صورة المهجوِّ عند أعلامها جرير والفرزدق والأخطل

أولاً: القيم الاجتماعية 61
ثانياً: القيم الأخلاقية 73
صورة المهجو من خلال الطعن في محارمه 89
صورة المهجو بالقيم الدينية 96
صورة المهجوِّ من خلال مهنته 109
مفاهيم نقائض شعراء المثلث الأموي 130
أولاً: القلب 130
ثانياً: المقابلة والموازة 131
ثالثاً: التوجيه 132
رابعاً: التكذيب والنفي 133
خامساً: الوعيد 134
الخاتمة 136
المصادر والمراجع 138
الملخص باللغة الإنجليزية 143

الملخص

حاولت الدراسة أن توضح تجليات صورة المهجوِّ في شعر النقائض دراسة وتحليلاً، وبذلك حملت عنوان **(صورة المهجوِّ في شعر النقائض)** عند جرير والفرزدق والأخطل.

عمد الباحث إلى تقسيمها في مقدمة وفصلين وخاتمة ، فقدمها على الشكل الآتي:

الفصل الأول: جاء بعنوان **(النقائض وأصولها، وظروف نشأتها، وتطورها في العصر الأموي)**، قسم الباحث هذا الفصل إلى مبحثين، وحاولتُ تبيان أصل النقائض لغة واصطلاحاً وأصول نشأتها منذ العصر الجاهلي مروراً بالعصر الإسلامي وصولاً إلى العصر الأموي مع ذكر بعض أعلام هذا الفن في هذا العصر.

الفصل الثاني: عرض الباحث في هذا الفصل **(صورة المهجوِّ في شعر النقائض عند جرير والفرزدق والأخطل)**، حاول الباحث من خلاله دراسة القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية، بالإضافة إلى تبيان صورة المهجوِّ من خلال الطعن في محارمه ومهنته.

المقدمة

المقدمة

احتل فن النقائض مكانة بارزة في الشعر العربي، وعُرف منذ العصر الجاهلي، وهو فن من الفنون الشعرية القديمة، تناقله الشعراء بين القبائل، وكما هو معروف فإن الفخر والهجاء قد شكَّلا هذا الفن، وكانا دعامته وأساسه، إذ إن الشعراء بدؤوا ينشدون قصائدهم مع أثر تلك الحروب التي اندلعت بين القبائل العربية في تلك الحقبة من الزمن، فكانت المفاخرات إلى جانب السيف هي السلاح الآخر لكل قبيلة، فضلاً عن الهجاء الذي كان سلاحاً يطعن به الشاعر خصمه دون هوادة، ولكن مع ذلك فقد اتسمت النقائض في العصر الجاهلي بالبساطة والعفوية، وخلت من الفحشاء التي تؤدي إلى الاحتقان بين القبائل، وبعد ظهور الإسلام خَفَتَ الهجاء، لأن الدين الجديد حارب الهجاء لفحشه، وانشغال العرب بالفتوحات، ونشر الدعوة، وتناسى الناس ما كان بينهم من تهاجي، لانشغالهم بهذا الدين الجديد، لذلك فقد تغير مفهوم النقائض في عصر صدر الإسلام الأول إلى النقائض الدينية، التي وجدت في عصر النبوة بين حسان بن ثابت وعبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب، وأبو سفيان، فقد قامت النقائض على أساس من مقابلة الدين الإسلامي بالكفر والشرك، وإظهار صورة المهجوِّ بكفره وضلاله، دون التركيز على المحارم والإقذاع في الشتائم، والفحش والخروج عن الأخلاق الإسلامية.

أما في العصر الأموي، فقد شجعت الدولة الأموية على إبعاد الناس عن أمور الحكم والسياسة من خلال هذا اللون الشعري الجديد، وتميزت تلك الحقبة بظهور عدد من الشعراء، لا تكاد تذكر أسماؤهم إلا وذكرت معهم لفظة النقائض، لأنهم اشتهروا بهذا الفن، فشعرهم يمثل الحياة الأدبية في عصرهم، وتظهر فيه صور القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية، ومن أبرز أعلامه **(جرير والفرزدق والأخطل)** الذين حمل شعرهم وثيقة تاريخية للحوادث التي سادت في هذا العصر والعصور التي سبقته، ولعل أهم أسباب ظهور النقائض في العصر الأموي هو هجاؤهم الملائم

لأذواق الناس في تلك الحقبة التي كان يسود فيها الترف المفرط واللهو العابث، فهذا الجمهور لم يكن يريد منها سوى النكتة المضحكة والسخرية المسليّة، فراح كلٌّ شاعر يرسم لمهجوِّه صورة تحط من قيمته وقدره، دون أن يكون بينهم أي عداوة أو خصومة شخصية، فكان الهدف من ورائها إظهار السبق والتفوق من الناحية الشعرية الخالصة، فتحول إلى حرفة احترفها الشعراء الذين كان يغلب عليهم أسلوب الجدل والمناظرة والحوار.

أما أهمية الدراسة فعلى الرغم من كثرة الدراسات السابقة التي بحثت في دواوين شعراء النقائض، وإعداد الدراسات المتنوعة، إلا أنه يبقى فسحة للنظر من خلالها في شعرهم تستحق الدراسة والمتابعة، ولهذا تبرز أهمية دراستي، الموسوم **بـ (صورة المهجوِّ في شعر النقائض)**، فمن خلال استقراء دواوين شعراء النقائض وجدت الفخر والهجاء قد شكلا مظهراً جلياً وباعثاً لتوليد هذه الصورة الواقعية المستمدة من الحياة السائدة لتصوير المهجوِّ، بصورة متدنية وبألفاظ هابطة ، يرسم فيها الشاعر الخصم صورة المهجوِّ وتشويه حاله، من هنا جاءت أهمية دراستي للتركيز على صورة المهجوِّ، وإبراز هذه الصورة التي أمعن الشعراء الثلاثة في رسمها بمهارة ، واعتمادهم محاور دقيقة في مضمونها، وصياغتها بالألفاظ، وهذا ما توفر لكل شاعر منهم برصد صورة مرئية للمهجوِّ، حيث تمكنت الدراسة من تقديم صورة للمهجوِّ في نقائض الأعلام الثلاثة لم تدرس من قبل.

وحتى تطمئن الدراسة إلى نجاحها في البحث عن صورة المهجوِّ في شعر النقائض، فقد استقرأ الباحث مجموعة من دواوين لشعراء هذا الفن قبل الشروع في المعالجة لموضوع الدراسة الذي تبين له رجحان فرضيتها.

ولتحقيق أهداف الدراسة للكشف عن صورة المهجوِّ في شعر النقائض، فقد اعتمدت الدراسة على خطة انتظمت في مقدمة وفصلين وخاتمة.

فقد كُرِّس الفصل الأول للتعريف بالنقائض وأصولها وظروف نشأتها وتطورها في العصر الأموي، قسم الباحث هذا الفصل إلى مبحثين، عرض فيه مفهوم النقائض لغة واصطلاحاً، وأصول نشأتها منذ العصر الجاهلي مروراً بالإسلامي وصولاً إلى العصر الأموي ، مع إبراز أعلام هذا الفن في العصر الأموي.

والفصل الثاني صورة المهجوِّ في شعر النقائض عند جرير والفرزدق والأخطل، قدمت الدراسة فيه صورة المهجوِّ من خلال دراسة الصورة الأخلاقية والسلوكية والاجتماعية والدينية التي تعد شرف الرجل وقيمته، وما يعاب فيه ويطعن به، فضلاً عن تبيان صورة المهجوِّ من خلال الطعن في محارمه ودينه ومهنته ونسبه.

وخُتِمَ هذا الفصل بنتائج عرضت مضامين النقائض في العصر الأموي ، ولتحقيق ما تصبو إليه الدراسة من غايات وأهداف أُنتهجت فيها وعَبرَ فصولها ومباحثها، كان لابُدَّ من أن تسلك الدراسة المنهج التاريخي في دراسة تطور فن النقائض، والتعرف إلى شعراء هذا الفن، كما اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي في تقليب المقطوعات الشعرية، فضلاً عما تقتضيه دراسة الشعر من اتباع المنهج التحليلي.

حينما اخترت دراسة صورة المهجوِّ في شعر النقائض لشعراء المثلث الأموي، موضوعاً لدراستي، كنت على علم بأنني سأسلك طريقاً طويلاً يقتضي صبراً، فمصادر الدراسة متعددة ودواوين الشعراء ثرية و زاخرة بشعر الهجاء، واستقصاء صورة المهجوِّ و تحليلها يقتضي التأني، وردها إلى واقع الحال التي انطلق منها الخصم ، وذلك يتطلب معرفة حال كل صورة، ودراسة مستفيضة لكل شاعر واستقراء كل ما كتب عنه.

أما الدراسات السابقة في هذا الموضوع ، فلم أقع على دراسات تطبيقية أو على تماس مباشر مع موضوع الدراسة، وقد اطلعت على بحث محكم بعنوان:

1. صورة المهجوِّ في نقائض جرير والأخطل، للباحث **(ملا صالح عزيز)**، المنشور في جامعة صلاح الدين، العراق، أربيل، في سنة **2004**، والبحث في خمسة عشر صفحة، وتناول البحث صورة المهجوِّ من حيث الصورة الحسية، والحركية، والنموذجية، وتناول البحث أهم تقنيات تشكيل الصورة من الرمز والتشبيه والمجاز والحقيقة، وهذا البحث لم يتطرق إلى موضوع دراستي مطلقاً.
2. السخرية في شعر جرير، والدراسة للباحث **(محمد إبراهيم ربيع)**، رسالة ماجستير نوقشت في جامعة جرش، سنة **2013**، تناول فيها الباحث السخرية في شعر جرير، والصور التهكمية الساخرة في شعر جرير، وقدم فيها بعض الأساليب اللغوية في لغة جرير.
3. تكرار المفردة في هجاء جرير، للدكتورة **(سنية أحمد الجبوري)**، العراق الجامعة المستنصرية، سنة **2006**، وتناولت في الدراسة الألفاظ التي كررها جرير في الهجاء.
4. عنصر الحُمق في أهاجي جرير ، للباحث **(أحمد خصخوصي)**، وهو بحث منشور في حوليات الجامعة التونسية ، وقد تناول فيه الباحث الحُمق وما يندرج في حقله من الدلالات المختلفة.

هذا فضلاً عن الدراسات العامة في موضوع الهجاء والفخر في النقائض بشكل عام.

أما المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث فهي :

1_ ديوان جرير، شرح الديوان، **(محمد إسماعيل عبد الله الصَّاوي)**.

2_ ديوان الأخطل، شرح الديوان، **(سوزان عكاري)**.

3_ ديوان الفرزدق، بشرح الأستاذ **(علي فاعور)**.

ورجع الباحث إلى المصادر التاريخية مثل : الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب ابن هشام في السيرة النبوية ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، وكتاب ابن قتيبة عيون الأخبار، وغيرها من المصادر الموثقة في الدراسة.

أما المراجع الحديثة فهي متعددة، بحسب مقتضيات موضوع الدراسة وهي على النحو الآتي:

1. **كتاب** تاريخ النقائض في الشعر العربي، لمؤلفه **(أحمد الشايب)** ، الذي تناول هذا الفن منذ العصر الجاهلي وصولاً إلى العصر الأموي.
2. **كتاب** النقائض في الشعر العربي، لمؤلفه **(عبد الرحمن الوصيفي)**، الذي أقرَّ بوجود النقائض في الشعر الجاهلي، وضرب عدة أمثلة حول ذلك وما كان من الباحث إلا أن استشهد بأقواله ضمن دراسته.
3. **كتاب** الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، لمؤلفه **(محمد محمد حسين)**، الذي تحدث عن شعراء ذلك العصر واستشهد ببعض أشعارهم.
4. **كتاب** فن الهجاء وتطوره عند العرب، **(إيليا حاوي)**، الذي فصل القول في الهجاء من خلال تعريفه وتحديد أنواعه، وفي معرض حديثه حول هذا الغرض فقد تحدث المؤلف حول شعراء الهجاء في العصر الأموي، واستشهد بأشعارهم، ولعل أبرز هؤلاء **(جرير والفرزدق والأخطل)**.

الفصل الأول

النقائض في الشعر العربي

المبحث الأول: النقائض وأصولها، وظروف نشأتها، وتطورها في العصر الأموي.

المبحث الثاني: من شعراء النقائض في العصر الأموي.

الفصل الأول

النقائض في الشعر العربي حتى العصر الأموي

المبحث الأول

النقائض وأصولها، وظروف نشأتها، وتطورها في العصر الأموي

النقائض في اللغة والاصطلاح:

- النقائض لغة:

النقض لغة: هدم ما أبرمت من عقد أو بناء. ونقض البناء: هدمه. وناقضه في الشيء: خالفه. والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه والنقيضة في الشعر: ما يُنقض به، وكذلك المناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول[1].

- النقائض اصطلاحاً:

النقائض اصطلاحاً تعني: أن يتوجه الشاعر بقصيدة يهجو بها شاعراً آخر، ويسخر منه ومن قبيلته، ويفخر بنفسه وقومه، وبما لهم من أمجاد ومكانة، فيجيبه الشاعر الآخر بقصيدة- وغالباً ما تكون القصيدة الثانية على وزن القصيدة الأولى، وعلى القافية نفسها- ناقضاً كثيراً مما جاء به الشاعر الأول من معانٍ وصور مضيفاً إليها فخراً أوهجاءً[2].

([1]) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت.711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د.ت) مادة (نقض) ج7، ص242، 243.

([2]) الشايب، أحمد، **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، ط3، ج1، مكتبة النهضة المصرية، 1998، ص3.

أورد **(أحمد مطلوب)** تعريف قدامة بن جعفر للنقائض بأنها " مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً، ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً أيضاً، غير منكر عليه، ولا معيب من فعله إذا أحسن المدح والذم، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها"[1].

يرى الباحث أن الشاعر يتجه في بناء بنية النقائض إلى آخر القصيدة هاجياً الأول، ومفتخراً بنفسه وقبيلته ملتزماً البحر الذي اختاره الأول، والقافية ذاتها وحركة الروي، وهذا يعني بضرورة وحدة الموضوع، ووحدة البحر، والقافية والروي.

أصول النقائض:

يصعب أن يُحدد تاريخاً دقيقاً لظهور مصطلح النقائض في المجتمع الإنساني، ومع ذلك فإنه موجود منذ الأزل، مذ أدرك الإنسان ذاتيته، وتميز عن الآخر، فظهر مصطلح الأنا والإحساس بالفوقية، لتعرف السخرية بذلك تطوراً ملحوظاً خاصة مع تشكل الجماعات البشرية، وظهور مصطلحات القهر السياسي والتسلط، فضلاً عن رسومات **(كاريكاتورية)** خلفها الإنسان القديم على جدران الأهرامات المصرية، وكذا في أرجاء المعابد القديمة، ولعل التطور الحقيقي الذي شهده مصطلح السخرية كان ارتباطه بالفلسفة اليونانية، إذ اتخذه سقراط في دفاعه عن مفهومي الحقيقة والعدالة أساساً لحواراته الفلسفية، وقد ادعوا المعرفة بحقيقة الأشياء، فكان عمله قائماً على تقنية

([1]) مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، عربي، عربي**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000، ص423.

توليد الأفكار، ما يمكنه بالضرورة من الإيقاع بخصمه، ليصبح الجاهل عارفاً، والعارف جاهلاً، وتكون السخرية بهذا مرادفة للحكمة والدهاء[1].

يؤكد الدارسون على أن النقائض كانت موجودة في العصر الجاهلي، وكان**(أحمد الشايب)** أول من قطع بوجود النقائض في الشعر الجاهلي، وعلى أنه فن بحد ذاته، حيث قال:"نشأ في حظيرة الشعر الجاهلي طفلاً يحبو، ثم تستقيم قدماه، فينمو سريعاً حتى نراه شاباً قوياً، ولاسيما في ظلال السيوف وبين الأيام، فلما جاء الإسلام ظفر به فناً موطأ الأكناف، كثير الأبواب"[2].

أكد **(صلاح رزق)** على وجود النقائض في الشعر الجاهلي، ويرى أنها فن قديم قِدَم الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي، وقدِم المنافسات القبلية، والمنازعات العصبية، التي سادت الحياة العربية قبل الإسلام بسنين طويلة[3].

أما **(صلاح الدين الهادي)** فيؤكد على أن النقائض كانت فناً شعرياً معروفاً-إلى حدٍّ ما- في العصر الجاهلي، لكنها في أول أمرها لم تأخذ صورة النقائض بكل أصولها وعناصرها وشرائطها الفنية، وكانت تأخذ صورة الرد الذي لا يتقيد بأصول المناقضة، ثم أخذت تتطور شيئاً فشيئاً، حتى وصلت إلى صورتها الكاملة، واستوفت كل القواعد والأصول الفنية اللازمة لفن المناقضة في نهاية العصر الجاهلي[4].

إذا سمع الناس كلمة **(النقائض)** تبادر إلى الذهن نقائض العصر الأموي، هذه القصائد الطوال التي تناشدها جرير والفرزدق والأخطل أيام بني أمية، وكأنَّ هذا الفن الشعري حديث النشأة

([1]) انظر: العمري، محمد، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص93.

([2]) الشايب، أحمد، **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، مرجع سابق، ص2.

([3]) انظر : رزق، صلاح، **الأدب الأموي**، ط1، مكتبة القاهرة، 1995، ص95.

([4]) انظر الهادي، صلاح الدين، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، دار الثقافة العربية، (د.ت)، ص273-275.

لم يعرفه الشعر العربي إلا في منتصف القرن الأول الهجري، وكأن فضل اختراعه راجع إلى هذه المدرسة الأموية ورجالها المشهورين والمغمورين[1].

أما **د.(شوقي ضيف)** فقد أشار إلى أن بذور النقائض سبقت العصر الأموي، وهي قديمة عرفها العرب في العصر الجاهلي، ويرى أن النقائض تطوير لفن الهجاء، ويؤكد عدم وجود علاقة بين الهجاء وفن النقائض في العصر الأموي، حيث أصبحت النقائض شيئاً يراد به اللهو لا الجد، كما كان في الشأن قديماً، ولم يكن الشاعر في العصر الجاهلي يهجو ليُضْحِك، ولم يكن يهجو أمام خصومه مباشرة، ولم يحترف الهجاء كما في عصر بني أمية، وقد كانت صوراً بسيطة في الأكثر[2].

يؤكد **د.(عبد الرحمن الوصيفي)** الرأيين الأخيرين، إذ أقرا بوجود النقائض في الشعر الجاهلي، وضرب أمثلة لذلك كل حسب اجتهاده، وكان رأي **(الوصيفي)** أن النقائض الجاهلية لم تكن وقفاً على فني الهجاء والفخر، كما أنها لم تكن ساذجة ناقصة الأركان، وهذا يعود إلى نشأتها مع الشعر الجاهلي، ولم يُعثر على شعر جاهلي في مرحلة الطفولة،إذ وصل إلينا شاباً يافعاً وكذلك النقائض، وإن كانت طبيعة الأشياء تحتم مرورها بمرحلة الطفولة، فهذه المرحلة لم تصل إلينا شأنها في ذلك شأن الشعر الجاهلي[3].

يرى **(الوصيفي)** أيضاً أن النقائض "أصبحت مبارزات عقلية وفكرية بين طرفين، كلٌّ يحاول دحض رأي الآخر، مثلما يحاول هزيمته في أرض المعركة تماماً، بل لا نبالغ إذا قلنا إن الاهتمام بالنصر القولي ربما حرص عليه العربي في العصر الجاهلي، أكثر من الانتصار في

([1]) انظر: الشايب، أحمد، **تأريخ النقائض في الشعر العربي**، مرجع سابق، ص1.

([2]) انظر : ضيف، شوقي، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1987، ص 163-164.

([3]) انظر: الوصيفي، عبدالرحمن، **النقائض في الشعر الجاهلي**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003، ص12.

معركة، لأن العرب يعرفون جيداً أن الشعر هو سجلهم الحقيقي، وأن الهزيمة في النقائض تعني أن يتناول الناس أخبار تلك الهزيمة جيلاً بعد جيل"[1]. ومن ذلك ما ذكره الوصيفي، في النقيضة التي دارت بين الحارث بن عباد، وبين المهلهل، حيث يقول الحارث[2]:

قَرِّبـــا مَـــربَطَ النَعامَـــةِ مِنّـــي لَقِحَـــت حَـــربُ وائِـــلٍ عَـــن حِيـــال

قَرِّبـــا مَـــربَطَ النَعامَـــةِ مِنّـــي لَـــيسَ قَـــولي يـــرادُ لَكِـــن فعـــالي

قَرِّبـــا مَـــربَطَ النَعامَـــةِ مِنّـــي لِإعتِنـــاقِ الأَبطـــالِ بِالأَبطـــالِ

قَرِّبـــا مَـــربَطَ النَعامَـــةِ مِنّـــي لِبَجَيـــرٍ مُفَكِّـــكِ الأَغـــلالِ

ورد المهلهل بن ربيعة بقصيدة، يقول فيها:

قربـــا مـــربطَ المـــشهرِ منـــي لِكُلَيْـــب الَّـــذِي أَشَـــابَ قَـــذَالِي

قربـــا مـــربطَ المـــشهرِ منـــي إنَّ قـــولي مطـــابقٌ لفعـــالي

قربـــا مـــربطَ المـــشهرِ منـــي لِكُلَيْـــبٍ فَـــدَاهُ عَمِّـــي وَخَـــالِي

قربـــا مـــربطَ المـــشهرِ منـــي لاعْتِنَـــاقِ الكُمَـــاة ِ وَالأَبْطَـــالِ

يلاحظ أن الأبيات السابقة تتشابه في تكرار المقاطع، على الرغم من أن المهلهل لم يقرأ أبيات الحارث، وقام بالرد عليها حرفاً حرفاً وحصل هذا التشابه والتكرار، والذي يبرر هذا أن شعراء النقائض في الشعر الجاهلي كانت الراحة النفسية في قمة أوجها، وكان واقع النقائض في العصر الجاهلي يتسم بالعفوية.

([1]) الوصيفي، عبد الرحمن، **النقائض في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص119.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 174-175.

إن الجاهلية هي البذرة الأولى لفن النقائض، فقد أشار **د.(يوسف خليف)** عند حديثه عن بيئة العراق، وشعر النقائض في العصر الأموي، أن "النقائض فن جديد يعد تطوراً لفن الهجاء الجاهلي"[1]. وأكد **د.(شوقي ضيف)** على ذلك بقوله: "إن الهجاء تحول عند الشعراء الثلاثة– يريد جريراً والفرزدق والأخطل– إلى فن جديد أو إلى لون جديد"[2]. وقام كل منهما بذكر أمثلة للنقائض في عصر الجاهلية، وبالتفصيل حسب رأي كل منهما، ويعد التطور الذي وصل إليه فن النقائض في العصر الأموي نتيجة لتميز النقائض في الجاهلية، فقد تميزت النقائض في الجاهلية بأنها عفوية وبسيطة تارة، وتارة أخرى تتوافر فيها الشروط متمثلة في وحدة البحر والقافية في النقائض المتأخرة.

يرى الباحث بعد استعراض الآراء جميعها أن النقائض عُرفت منذ العصر الجاهلي، وهي فن من الفنون الشعرية القديمة، وتناشد الشعراء النقائض رداً على خصومهم، وعلى وجه الخصوص في القتال؛ حين يشتد بين القبائل، ويصبح الصراع الكلامي لساناً ملازماً للصراع القتالي، ويقوم الشعراء المتكلمون في قومهم للدفاع عنهم عندما تنشب معركة بين قبيلتين لسبب أو لآخر، وبمجرد هدوء السيف وعودته إلى غمده يبدأ اللسان بالهدوء، ويغلق أمام انطلاقته.

([1]) خليف، يوسف، **في الشعر الأموي، دراسة في البيئات**، مكتبة غريب، القاهرة، 1991، ص 125.

([2]) ضيف، شوقي، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، مرجع سابق، ص 165.

النقائض في العصر الجاهلي:

احتل فن النقائض مكانة بارزة في التراث العربي، وعُرف بلون من السخرية والفكاهة والطرافة منذ العصر الجاهلي، إذ تناقله الشعراء بين القبائل، وقد وردت النقائض أو السخرية في الشعر الجاهلي بشكل محدود[1].

وكانت هذه الظاهرة تتمظهر خاصة في الهجاء، حيث قويت المنافرات والمشاحنات، لكنها بقيت متصلة بنظام القيم، ممتزجة بالتهكم والإضحاك، أما ما كان سباً وشتماً وتعريضاً، فهو هجاء فظ مباشر[2]. ولم تكُن الحربُ ميداناً للقتال فحسب، بل كانت سبباً مباشراً لظهور فن النقائض الذي نما وترعرع في أجواء المعارك، فقبل كل حرب أو بعدها تكون المناقضة تهديداً ووعيداً أو فخراً.

يُعدّ أول ظهور لفن النقائض في الشعر الجاهلي ما واكب الحروب التي اندلعت بين اليمنيين من جهة، وتغلب من جهة أخرى، لأنّ هذه الحروب كانت قبل حرب البسوس التي اندلعت في نهاية القرن الخامس الميلادي. ويوم "أُراط"[3] هو أوّل هذه الأيام، وقد استمرت فيه الحربُ سبعة أيام تباعاً حتى كَثُر القتل بين الفريقين، ولما كان اليوم السابع انهزم اليمنيون أمام بكر وتغلب، وولوا الأدبار، وعندما بلغت أخبارُ الهزيمة التُّبع اليماني قال مهدداً[4]:

يـــاذَ الكـــلامِ كـــأنَّني مَـــوْرود مـــن دار حِميـــر فـــالفؤاد عميـــدُ

نـــادى معاهـــد مـــن أبيـــتَ قعـــود أقـــذاء عينـــك عادهـــا أم عـــودُ

([1]) انظر: طه، نعمان محمد أمين، **السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1978، ص 58 وما بعدها.

([2]) انظر: مشتوب، سامية، **السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود معمري نيزي وزو، قسم اللغة العربية، الجزائر، 2011، ص13.

([3]) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، ط2، دار صادر، بيروت، 1995، ص1-134.

([4]) الوصيفي، عبدالرحمن،**النقائض في الشعر الجاهلي**، ط1، ميدان الأوبرا، القاهرة، 2003، ص15.

منـــعَ الرَّقـــادُ فمـــا أغمـــض ســـاعة نـــــبط بيثـــــرب آمنـــــين قعـــــودَ

نـــــبط أســـــارى مـــــا ينـــــامُ ســـــميرُهم لابـــــــد أن يُـــــــسليهمُ مـــــــورودُ

ويظهر في هذه الأبيات فخر التبع اليماني بقومه **(حمير)** وبقوتهم وبأسهم بالقتال، وفي باقي القصيدة يهدد بهلاك بكر وتغلب، فهذه من النقائض قبل حرب البسوس، ويأتي رد **(كُليب)** مستخدماً البداية التي استخدمها اليماني **(ياذا الكلام)**، ويضع **(كليباً)** جدوده من بكر وتغلب في المقابل بكل فخر وقوة، ويرد تهديده بتهديد مماثل، وأنه سينازل اليماني وقومه برجال أشداء، وهنا تكون النقيضة قد استوفت شروطها، يقول **(كليب)** في رده على **(اليماني)**[1]:

يـــاذا الكـــلام نـــسيت عقـــد جـــدودي فَلِـــمَ أنفُـــتَ وأنـــت غيـــر حميـــدِ

لـــم أســـر بـــالغمرات إن لـــم ألقكـــم شـــهباء مثـــل صـــرائم الأخـــدودِ

حتـــــى أنـــــازل تُبّعـــــاً بكتيبـــــةٍ شـــهباء لـــيس ورودهـــا كـــورودي

فرجـــالُ تغلـــب والأراقـــم وســـطها والخيـــل بـــين مجنـــب ومقـــودِ

ورجـــالُ بَكـــرٍ مُلْجمـــون خيـــولهم مـــا بـــين قِـــزمٍ ســـيد ومـــسودِ

لقد وجد في الشعر الجاهلي نقائض ذات مستويات متعددة، تساير حركة النهوض الأدبي الفني، وقد كان البسيط العفوي الساذج أبرز هذه المستويات، لعل ما يثبت ذلك ما دار بين عامر بن الطفيل وزيد الخيل، عندما خرج ذؤاب إلى صهر له في هوازن فأصيب، فلما عَلِم زيد أغار على عامر وعاد يقول: لا يبوء بهِ إلى عامر بن مالك ملاعب الأسنة، فأما ابن الطفيل فلا يبوء به، وقال زيد[2]:

([1]) نقلاً عن: كتاب عبد الرحمن الوصيفي، **النقائض في الشعر الجاهلي**،مرجع سابق، ص 15، 16.

([2]) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي (356هـ)، **الأغاني**، تحقيق: لجنة من الأدباء، بإشراف: عبد الستار أحمد الفراج، دار الثقافة، بيروت، م8، ج17، 1990، ص185-187.

لا أرى أن بالقتيـــــــــلِ قتـــــــــيلا عامريـــــاً يفـــــي بقتـــــلِ ذؤابِ

لـــيس مّـــنْ لاعـــبِ الأسْـــئِلة فـــي النقـــ عِ وســـــمّى ملاعبـــــاً بـــــإرابِ

عـــامرُ لـــيس عـــامرَ بـــن طفيـــلِ لكـــن العُمْـــر رأْس حـــيّ كـــلابِ

ذاك إن أَلْقَـــــهُ أنـــــالِ بِـــــه الوتـــــ رَ وقّـــرَت بـــهِ عيـــونُ الـــصحابِ

فغضب عامر بن الطفيل، وقال يجيب زيد الخيل:

قـــل لزيـــد قـــد كنـــت تـــؤثر بالحلْـــ مِ إذا سُـــــفّهت حلـــــومُ الرّجـــــالِ

لـــيس هـــذا القتيـــل مـــن ســـلف الحَـــ يّ كُـــــلاع ويحـــــصب وُكُـــــلالِ

أو بنـــــي آكـــــل المـــــرار ولا صيـــــ دِ بنـــــي جفنـــــه الملـــــوك الطـــــوالِ

إن فـــــي قتـــــل عـــــامر بـــــن طفيـــــل لبَـــــــواء لطـــــــيء الأجيـــــــالِ

من خلال ما تقدم فإن الباحث يرى أن الفكرة في النقيضتين تبدو واحدة، ويلاحظ أن الرّد جاء عاماً دون الانسجام بين الألفاظ والمفردات مع وحدة البحر دون القافية عند الشاعرين،فزيد لا يرى بعامر بن الطفيل نظيراً لقتيله، وعامر يقول إن قتيل زيد لا وزن له، ويرى أن عامر بن الطفيل موازٍ لطيء كلها.

لقد وجد في النقائض المتأخرة وحدة البحر والقافية، ودورانها في محور واحد، حول فكرة واحدة، ومثال ذلك: الشعر الذي دار بين عاصم بن عمرو، وأُحيحة بن الجُلاح الأوسي عقب حرب كعب بن عمرو. فقال قصيدته بعد أن طُلب مقتولاً من قِبَلِ عاصماً بن عمرو، فيقول: [1]

([1]) ابن الأثير، علي بن محمد بن الجزري (630هـ)، **الكامل في التاريخ**، ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ج1، 1965م، ص660.

نبئـــــتُ أنّـــــك جئـــــت تـــــسيـ ري بـــــــين داري والقُبابَـــــــهْ

فلقـــــــد وجـــــــدتَ بجانـــــــب ال ضَّـــــــحيْان شُـــــباناً مُهابَـــــهْ

فتيـــــانَ حـــــرْبٍ فـــــي الحديـــــ دِ وشـــــامرِين كأُسْـــــدِ غابَـــــهْ

هـــــم نكّبـــــوك عـــــن الطريـــــ قِ فبِـــــتَّ تركَـــــبُ كـــــلَّ لابَـــــهْ

أعَـــــــصْيمَ لا تجـــــــزعْ فـــــــإ نّ الحـــــربَ ليـــــست بالدُّعابَـــــهْ

فأنـــــــا الـــــــذي صـــــــبَّحُتكم بـــــالقوم إذ دخلـــــوا الرُّحابَـــــهْ

وقتلـــــــت كُعبـــــــاً قبلهـــــــا وعلـــــوتُ بالـــــسيفِ الذُّؤابـــــهْ

فأجابه عاصم:

أبلـــــــغْ أحَيحـــــــةَ إن عرضـــــــ تَ بـــــداره عنَّـــــي جوابَـــــهْ

وأنـــــــا الـــــــذي أعجلتُـــــــهُ عـــــن مقعَـــــدٍ ألهـــــيٍ كلابَـــــهْ

ورميتُـــــــه ســـــــهماً فأخـــــــ طـــــأه وأغلـــــق ثـــــمَّ بابَـــــهْ

ويرى الباحث أن الوزن هو مجزوء الكامل في النقيضتين، وهذا ملاحظ في نقائض الجاهليّة، فضلاً عن التغير الذي يطرأ على القافية وحدها دون الوزن،ويؤخذ بعين الاعتبار أنها ظاهرة شعرية لا ينفرد فيها شعراء على وجه الخصوص، فالفن آني بالنسبة لهم، ولم يكن الشاعر الجاهلي مشغولاً أو يُشغل نفسه في تطوير هذا الفن، أو أن يصل به إلى مستوى يشهره، فوعر الحياة في ذلك الزمن، وانشغال الإنسان في العصر الجاهلي يفرض عليه العمل والانشغال فيها، كالبحث عن الطعام وموارد الماء، والأخذ بالثأر والرد على الأعداء في الغزوات التي لا تنتهي وعدا ذلك.

لقد حدد **د. (عبد الرحمن الوصيفي)** الملامح الموضوعية للنقائض، وأسبابها المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحروب العرب وأيامهم، ومن ثمَّ فهي نتاج خلاف حقيقي يقف أحدهما ندَّاً للآخر في ساحة المعركة ،وفي ساحة الشعر على السواء، أي بين طرفين نقيضين، حتى إن النقائض التي كانت بين الأقارب والتي حملت النُّصح والتحذير، تبرز بوضوح أن الخلاف كان كبيراً بين طرفي النقائض، ويبدو أن نقطة التلاقي كانت بعيدة، وعلى ذلك فإن نقائض الجاهليين كلها نتجت عن تباين واختلاف حقيقيين، وإن العداء كان الغالب فيها، واختلفت عنها في العصر الأموي، فأصبحت نقائض فنية، ولم تكن نتيجة خلاف حقيقي وجوهري بين طرفيها،فهي أكثر تعبيراً عن واقع الحياة في الجاهلية وذات الشعراء، وأكثرها صدقاً في التعبير عن النفس العربية، وهي في كثير من الأحيان تعبر عن روح قبيلة بأسرها، ويعد الغرض الأساسي في النصر على العدو قولاً بعد النصر عليه في معركة قتالية، أو تقليل قيمة نصر العدوِّ إذا هزمهم، وقد برعوا في ذلك، وكانت بعض النقائض أيضاً تحمل طابع النصيحة، لأن أسبابها تختلف عن أسباب النقائض الأخرى[1].

تستنتج الدراسة أن النقائض غلفتها العصبية القبلية، فالفخر لا يكون إلا بالقبيلة والهجاء يكون للقبيلة الخصم، وحينما يفخر الشاعر بنفسه وحسبه ونسبه وكرمه ومواقفه، يبدأ يهجو خصمه بسلبه الصفات الفخرية والمناقب التي يحبها العرب، فالعصبية مفروضة على العربي في نقائضه لأنها مستمدة من حياته، فهدف الشاعر إبراز المفاخر وإعلاء شأنه في معركته الهجائية، والشعور بنشوة انتصاره، ويقابله التقليل من قيمة مهجوه، ويتوعّد الناقضُ ويهجو، ويفتخر، ويبدو أن الشاعر يتعصب لقبيلته من أجل أن يطمئن نفسهُ وقومه، فيقلل من أثر الهزيمة، ويلاحظ عدم وجود الفحش في نقائض الجاهليين، ذلك لمحافظتهم على شرفهم، وعدم إساءة العربي للعربي في هذا الجانب،

([1]) انظر: الوصيفي، عبد الرحمن، **النقائض في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص 117-118.

وقد كانت نقائضهم جدّية، فأي فحش يذكر قد يثير الحفيظة، ويقلق النفوس، ويُهيّج الدماء، وتقوم الأقوام على بعضها لمجرد ذكر الفحش، لذلك فهم يتحاشونه في نقائضهم.

يعد كثيرٌ من الشعراء في واقع الحال شعراء فرساناً، فمنهم من عُرف وشُهر بفروسيته، وبعضهم من غلبت عليه موهبته الشعرية فعُرف بها، ومنهم من تساوى عنده الأمران، إن الملوك ورؤساء القبائل في الجاهلية عُرفوا في الغالب بالفروسية ومنهم: التبع اليماني، وكليب بن ربيعة، وجساس بن مرة، ومرة بن ذهل، والحارث بن ظالم، وقيس بن زهير بن جذيمة، ولقيط بن زُرارة، وأبو براء عامر بن مالك **(ملاعب الأسنة)** والأسود بن المنذر، والنعمان بن المنذر، وسَلَمة بن الحارث بن آكل المرار، ولبيد بن عنبسة الغساني، وعمرو بن الإطنابة، وهناك منْ غلبت عليه موهبته الشعرية، وعُرف بين الناس كشاعر دون أن تُنفى عنه صفة الفروسية،منهم: النابغة الذبياني، وعبيد بن الأبرص، وامرؤ القيس، وحسان بن ثابت، وقيس بن الخطيم، وبشر بن أبي خازم، والفند الزِّمّاني. أما من جمع بين الحُسنيين في الشعر والفروسية بشكل متكافئ، ولايمكن الفصل بينهما،هم: المهلهل عدي بن ربيعة، والحارث بن عباد، وعامر بن الطفيل، والربيع بن زياد، وعبدالله بن رواحة[1].

وبناء عليه، فإن هؤلاء الشعراء هم بالأصل فرسان لهم مكانتهم الاجتماعية التي فرضَتْ عليهم نمطاً أخلاقياً محدَّداً يحكم شعرهم، ومن المعلوم أن الفروسية ليست وقفاً على الحروب والغارات والسلب والقتل وتحقيق النصر، لكنها كما قال **(نوري القيسي)**: "مظهر من مظاهر الحياة

([1]) انظر الوصيفي، عبد الرحمن، **النقائض في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص 120.

نشأ نتيجة عوامل اجتماعية وأخلاقية وحربية معينة، وتطور وفق أساليب حيوية شاملة، وقد ساعد على تطوره فطرة عربية سليمة وجدت في المثل السامية قيمها الحقيقية وهدفها الذي تسعى إليه"[1].

يرى الباحث أن الفرسان في الجاهلية يتحلّون بالخصال الحميدة، والمثل العليا، التي تمجدها بيئتهم وتفرضها عليهم، ويتغنون بهذه الخصال في شعرهم، فخراً بأنفسهم وقبيلتهم وهجاءً لعدوّهم، ورثاءً لقتلاهم الأبطال الذين دفعوا حياتهم من أجل القبيلة، بفعله وخلقه، فهي بيئة خصبة تصنع الرجال.

عرفت أغراض النقائض في الشعر الجاهلي ومنها الفخر، التي تتوافق مع طبائع النفس العربية، المجبولة على الرفعة والسمو والاعتداد بالنفس وإغاثة الملهوف. أما الهجاء في الجاهلية فقد كان خالياً من السباب والفحش، واعتمد الشعراء على سلب الخصم القيم الرفيعة التي يعتز بها العرب، وكان الشعر أقرب إلى اللوم والعتاب والتوبيخ، وعليه، فإن النقائض اتسمت بالنصح والعتاب واللَّوم مثل (نقائض الإخوة، نقائض الأب وابنه، نقائض أبناء العم). فها هو قيس بن زهير يرسل لأخيه مالك أن يغادر بني فزارة، وهو متزوج من بني فزارة، حيث قام قيس بن زهير بقتل عوف بن بدر الفزاري، يقول زهير لأخيه [2]:

أمالـــكُ لا تـــأمنْ فـــزارة وأخـــشها فإنّـــك إن تـــأمنْ فـــزارة هالـــكُ

أمالـــكُ إن تحـــسبْ مكانـــك فـــيهم صـواباً فقـد أخطـأت فـي الـرأي مالـكُ

إلا أن مالكاً يتملكه العناد ولم يغادر القبيلة، حيث يرى أنه في مأمن لأنه لم يقتل أحداً، ودفع ثمن عناده حياته فقد قتلوه، وعلى الرغم من إلحاحه عليه يرد على أخيه:

([1])القيسي، نوري حمودي، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، ط2، مكتبة النهضة العربية، 1984، ص27.

([2]) انظر: الوصيفي، عبدالرحمن، **النقائض في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص 142-143.

يـــــا قـــــيس حـــــسبُك فخلّنـــــي وبنـــــي فـــــزارة إنّنـــــي مُتماســـــك

أتـــــرى حذيفـــــة أخـــــذي بجريـــــرة لـــــم تجنهـــــا كفّـــــي وأنـــــت الفاتِـــــكُ

تبدو النصيحة هنا صادقة واضحة في الخوف من مغبة الغدر، فهو يرجو لأخيه السلامة، إلا أن أخاه لا يستمع للنصح، فكان هلاكه في الإعراض عن النصيحة.

يطالعنا رأي **د.(شوقي ضيف)** أن للحكمة حظّاً وافراً في شعر الجاهليين، إذ تدور في ثنايا شعرهم، ويقدم الشاعر من خلالها خبرته بفهم الحياة وتقلباتها، ووعيه بصروف الدهر وعبر الأيام، وهم يمثلون طبقة من أذكى طبقات الجاهليين، وأكثرهم ثقافة، فضلاً عن دقة الحس، والذي أتاح لهم النفاذ إلى إدراك غير قليل من حقائق الحياة وطبائع الأحياء، فصاغوها في شعرهم حِكماً يرسلونها تعبيراً عن خبرتهم وتجاربهم الذكية الدقيقة[1].

ويرى الباحث أن النقائض في العصر الجاهلي تتسم بالبساطة والعفوية، وتخلو من الفحش الذي يؤدي إلى احتقان القبائل، فتشابهت النقائض في الروي والوزن في الرد، يكاد القارئ لها يقول إنه قد نظم عليها الشاعر الذي رد على أبيات النقيضة، ويلاحظ أن للحكمة لها حظاً وافراً في شعر الجاهلية، ويعد الشعراء في الغالب فرساناً تارة،وقد تجلى الفخر في مضامين نقائض الشعر الجاهلي،وما تتضمنه قصيدة الفخر من الاعتداد بالخصال الحميدة وتمجيد القبيلة وهجاء الأعداء، ورثاء الأبطال.

([1]) انظر: ضيف، شوقي، **الشعر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة، ط13، 1990، ص218.

النقائض في العصر الإسلامي:

عند الانتقال إلى الحديث عن النقائض في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم،يلفت نظر القارئ أن الدّين الإسلامي دينُ قيم ومبادئ، يُهذب النفس وينقيها، ويُبعد عنها أمراضها كالحسد والبغض والكره، ويصفي القلوب، ويُعيد الأنس للإنسان إذا فقده لسبب أو لآخر، وينمي المحبة، ويُزيل العداوات. فعند ظهور الإسلام، ونزول القرآن الكريم ورد بعض الألفاظ في الآيات القرآنية تحمل معاني السخرية والهُزء والضحك والاستخفاف في مواضع كثيرة[1].

جمع الإمام الجوهري معنى السخرية بالهزء والتذليل[2]،خاصة وأنهما وردتا معاً في عدة مواضع من القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [3]. وتصنف السخرية ضمن أساليب الفكاهة كالهزل والطرفة والنكتة، فضلاً عن تميزها باللذع والتجريح، فقد نبذها الإسلام ورفضها،إلا أن هذا لا يمنع دلالتها على الطرافة وخفة الظل، فضلاً عن دلالتها في سعة المستوى الثقافي للساخر، الذي على حد قول **(العمري)** "يعتمد وسائط متعددة بعيدة الدلالة موازناً بين العناصر اللسانية والوجدانية إلى حدود الالتباس"[4]، فالسخرية وإن ارتبطت دلالاتها بالهزء والتحقير إلا أن إتقانها يستدعي ذكاء وفطنة شديدين لا يتوفران في أي كان، وعلى هذا فالسخرية فن قائم بذاته يختص في تأليفه جماعة معينة من الناس.

جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالديانة السماوية فانطفأت نار العصبية وانشغل المسلمون بالدعوة والبحث في وسائل نشرها، وخلال مدة ليست بطويلة قويت شوكة المسلمين، وفي المقابل لهم رفض المشركون الدعوة النبوية وصدوا أنصارها فأظهروا حقدهم وجبروتهم ، وقد جاءت

([1]) انظر: طه، نعمان محمد أمين، **السخرية**، مرجع سابق، ص 70 وما بعدها.

([2]) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية**، راجعه واعتنى به د. محمد محمدالتامر، وأنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص 525.

([3]) **سورة الأنعام**، الآية 10.

([4]) العمري، محمد، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، مرجع سابق، ص 92.

معركة بدر وهي أول معركة قوية بين المسلمين والمشركين ،وانتهت بانتصار المسلمين، ومن هنا بدأ المسلمون يحصدون نتائج الانتصار، وبكى شعراء المشركين قتلاهم، ومن ذلك قول عبدالله بن الزُبعرى[1]:

مـــاذا عَلـــى بَـــدرٍ وَمـــاذا حَولَـــهُ مِـــن فِتيَـــةٍ بِـــيضِ الوُجـــوهِ كِـــرامِ

تَرَكـــوا نُبَيهـــاً خَلفَهُـــم وَمُنَبِّهـــاً وَابنَـــى رَبيعَـــةَ خَيـــرَ خَـــصمِ فِئـــامِ

وَالحـــارِثَ الفَيّـــاضَ يُبـــرُقُ وَجهُـــهُ كَالبَـــدرِ جَلّـــى لَيلَـــةَ الإِظـــلامِ

وَإِذا بَكَـــى بـــاكٍ فَـــأعولَ شَـــجوَه فَعَلـــى الـــرَئيسِ الماجِـــدِ اِبـــنِ هِـــشامِ

حَيّـــا الإِلَـــهُ أَبـــا الوَليـــدِ وَرَهطـــهُ رَبُّ الأَنـــامِ وَخَـــصَّهُم بِـــسلامِ

وهنا يظهر الحزن والألم على من قتل بسيوف المسلمين، ذاكراً ما كان فيهم من نسبٍ وحسبٍ وكرمٍ وصلابةٍ،ومن هنا انتشرت النقائض في الغزوات، فرد عليه حسان بن ثابت بقصيدة ناقضاً فيها معانيه، ومستنكراً البكاء على قتلى المشركين، ومادحاً الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيها[2]:

ابـــكِ بكـــتْ عينـــاكَ ثـــم تبـــادرتْ بـــدمٍ تعـــلّ غروبهـــا ســـجّامِ

مـــاذا بكيـــت بـــه الـــذين تتـــابعوا هـــلاّ ذكـــرتَ مكـــارمَ الأقـــوامِ

وذكـــرت منـــا ماجِـــداً ذا هِمّـــةٍ سَـــمُح الخلائـــق صـــادق الإقـــدامِ

أعنـــي النبـــيَّ أخـــا المكـــارمِ والنـــدى وأبـــرَّ مَـــنْ يـــولى علـــى الإقـــسامِ

فلمثْلِـــهِ ولمثـــل مـــا يـــدعو لـــهُ كـــان المُمَـــدَّحَ ثـــمَّ غيـــر كهـــامِ

([1]) ابن هشام، عبدالملك المعافري (ت.218هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: محمد القطب ومحمد بلطة، المكتبة العصرية، بيروت، ج3، 2005م، ص417.

([2]) **المرجع نفسه**، ص417.

جاء الإسلام برسالة التآخي والمحبة، وكان لهذه الرسالة دور كبير في تهذيب النفوس، فحمل الإسلام القيم والمثل الأخلاقية العليا، فنور الإسلام أطفأ نار العصبية القبلية وحاربها ورفضها وطهر النفوس منها، ولكن العرب كانوا ميالين إلى جاهليتهم، فالباحث يرى أن نار العصبية لم تخمد كاملةً في نفوسهم، رغم ذلك لم تظهر واضحةً في أفعالهم حتى في نقائض المشركين، فالقتال لم يعد بين قبيلة وأخرى بل بين مجموعة قبائل ورسالة سماوية **(دين)**، فقد أصبح لكل منهم أناس من مختلف الأديان والأجناس. وهكذا أصبحت العصبية خافتة لم تعد تظهر بشكل قوي كما في العصر الجاهلي، ولا يعني هذا اختفاء الولاء للقبيلة، فهذا **(الزبرقان بن بدر)**،لما قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم قال[1]:

أَتَينـــاكَ كَيمـــا يَعلَـــمُ النـــاسُ فَـــضلَنا إِذا اِحتَفَلـوا عِنـدَ اِحتِـضارِ المَواسِـمِ

بِأَنّـــا فُـــروعُ النـــاسِ فـــي كُـــلِ مَـــوطِنٍ وَأَن لَـيسَ فـــي أَرضِ الحِجـــازِ كَـــدارِمِ

واِنّـــا نَـــذودُ المُعلَمـــينَ إِذا اِنتَخَـــوا وَنَـــضرِبُ رَأسَ الأَصـــيَدِ المُتَفـــاقِمِ

وَأَنَّ لَنـــا المِربـــاعَ فـــي كُـــلِ غـــارَةٍ نُغيـــرُ بِنَجـــدٍ أَو بِـــأَرضِ الأَعـــاجِمِ

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

هَـلْ الْمجـد إِلَّا الـسّؤدد الْعَـوْدُ وَالنَّـدَى وِجَـــاهُ الْمُلُـــوكِ وَاحْتِمَـــالُ الْعَظَـــائِمِ

نَـــصَرنا وآويْنـــا النبـــيَّ محمـــداً علـــى أنْـــف راض مـــن مَعَـــدّ وراغـــمِ

بَحَـــيّ حَريـــدَ أصـــلَهُ وثـــراؤه بِجابيّـــةِ الجـــولانَ وَســـط الأعـــاجمِ

نَـــصَرْناهُ لمـــا حَـــلّ ديارنـــا بأسْـــيافنا مِـــن كـــلِّ بـــاغٍ وظـــالمِ

جَعَلنـــا بنينـــاً دُونَـــه وبَناتِنَـــا وَطبْنـــا لَـــه نَفْـــساً بفـــيء المغـــانمِ

([1]) ابن هشام، عبدالملك المعافري (ت.218هـ)، **السيرة النبوية**،مرجع سابق،ج4، ص474، 475.

فَـــلا تَجْعلـــوا الله نِـــداً وأســـلموا ولا تَلْبــسوا زِيّــاً كَــزِيّ الأعــاجمِ"

وفي الأبيات السابقة يرى **(الزبرقان)** أفضلية لقومه على الناس فلهم الرياسة، وجاء **(حسان بن ثابت)** يرد عليه، بأن لا حق لدارهم في فخر، وأن قومه نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعوا الناس للإسلام. ومن المؤكد أن العصبية قد خمد جمرها، وانحصرت النقائض في فترة الإسلام بالمادة والمضمون من الأحداث التي جرت من بعث محمد صلى الله عليه وسلم حتى وقت قول النقيضة، حيث أن الفترة التي سبقت الإسلام خفت ذكرها.

بعد الإسلام أصبح أنصار الرسول يفخرون بدينهم، فهم يحملون بين أضلعهم عقيدة تجعلهم يؤمنون بأن الله هو القوي المتين يعطي القوة من يشاء، له الملك، وله الحكم، وهو القادر على فعل ما يريد ولا ناصر إلا الله، أما من عادى الدين وحاربه فكانوا يذكرون قوتهم وسيادتهم وما كان لهم من ماضٍ يعتزون به، كما سبق وأشارت الدراسة إلى أن الإسلام دين الهداية والرحمة، فهذا ما دفع **(كعب بن الأشرف)**،إلى التحريض على قتال المسلمين ،مذكراً قومه بفجيعتهم بقتلاهم في معركة بدر، طالباً الثأر لهم ،يقول [1]:

طَحَنَــتْ رحـــى بـــدْر لمهلـــك أَهْلـــه ولمثـــل بـــدْر تـــستَهل وتَـــدْمَعُ

قتلـــت ســـراة النـــاس حـــول حياضِـــهم لا تبعـــدوا إن الملـــوك تـــصرّعُ

كـم قـد أصـيب بـه مـن أبـيضَ ماجـد ذي بهجـــةٍ يـــأوي إليـــه الـــضيّعُ

طلـــق اليـــدين إذا الكواكـــب أخلفـــت حَمّـــال أثقـــال يـــسود ويَرْبَـــعُ

ليـــزور يـــشرب بـــالجموع وإنمـــا يحمـــي علـــى الحـــسب الكـــريم الأرْوعُ

([1]) ابن هشام، عبد الملك المعافري، **السيرة النبوية**،المرجع السابق، ج3، ص440.

فأجابه حسان بن ثابت:

أبكـــي لكَعْـــب ثـــم عـــل بعبـــرةٍ منـــه وعـــاش مجـــدعاً لا يـــسمعُ؟

ولقـــد رأيـــت بـــبطن بـــدرٍ مـــنهم قَتلـــى تَـــسِحُّ لهـــا العيـــونُ وتَـــدمعُ

فـــأبكي فقـــد أبكيـــت عَبـــداً راضـــعاً شـــبه الكليـــب إلـــى الكليبـــة يَتَبـــعُ

ولقـــد شـــفى الـــرحمن مِنّـــا ســـيداً وأهـــانَ قومـــاً قـــاتلوه وصـــرّعُوا

يحاول كعب في هذه الأبيات أن يحرض الناس على قتال محمد صلى الله عليه وسلم، ويذكرهم بقتله سادات القوم، إلا أن المسلمين كانوا يشمتون بهزيمة المشركين، ويظهر ذلك في رد **(حسان بن ثابت)** الذي كان مفتخراً بالانتصار، ويبرز في الأبيات اختفاء العصبية بنسبة كبيرة، فمهما حاول الإسلام أن يطفئها أو يبعدها عن تفكير العربي، فهذا لا يعني انطفاء العصبية بشكل كامل، وبقيت حاضرة في النفوس فهي تعد مقوماً رئيساً من مقوماته، لحاجة شعر النقائض لها. وأشار **(ابن سلام)** أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرف ذلك، فوجه **(حسان بن ثابت)** إلى أبي بكر ليعرف أنساب المشركين وأحسابهم، كي يستطيع أن يرد عليهم من ناحية، ويتحرز في هجائهم حتى لا يطالَ أحدٌ من المسلمين من ناحية أخرى[1].

والنقائض الإسلامية لا فحش فيها، وأوضح صاحب السيرة في بعض أبيات **(حسان بن ثابت)** أنه لم يضمنها كتابه وتركها، يعزى ذلك لتحرجه من ذكر بعض ما قاله حسان، ومن الملاحظ أن هذه الأبيات المتروكة طبيعية لا فحش فيها ولا فجور، وخير مثال قصيدة (حسان) الميمية التي يقول فيها راداً على ابن الزِّبعرى[2]:

([1]) انظر الجمحي، محمد بن سلام (231هـ)، **طبقات فحول الشعراء**، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، ج1، دار المدني، القاهرة، د.ت، ص218.

([2]) ابن هشام، عبد الملك المعافري، **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج3، 417، 418.

تبلـــتْ فـــؤادكَ فـــي المنـــامِ خريـــدة تـــسقي الـــضجيعَ ببـــاردٍ بَـــسّامِ

كالمِـــسكِ تَخلطُـــه بمـــاءِ ســـحابةٍ أو عـــاتقٍ كَـــدَم الـــذبيحِ مُـــدامِ

بـــيض إذا لاقـــتْ حديـــداً صـــممتْ كـــالبرق تحـــت ظـــلالِ كـــلِّ غمـــامِ

إن القارئ لشعر النقائض في العصر الإسلامي يجد أن معانيها قريبة سهلة التناول، لا يوجد فيها عنت، ولم يستخدم الشاعر في الإسلام التجريح ولا هتك الأعراض،ولم يفحش ويدخل في المحرمات حتى لألد أعدائه،ولقد خبت ظاهرة النقائض مع مرور الأيام في فترة الدعوة الإسلامية؛ نظراً لدخول الناس في الإسلام بعد مرور العديد من المعارك بينهم ،سواء القتالية أو اللسانية الشعرية، وانشغل العرب بالفتوحات لنشر الدعوة، وتناسوا ما كان بينهم من هجاء، وأصبحوا أمة واحدة،وانشغل الناس في حب الله ورسوله ،ومن ثم الخلافة الإسلامية وفتوحاتها، والحفاظ على الكيان الإسلامي كنسيج واحد توسع عبر البلاد، ثم بدأت تظهر النقائض بصورة جديدة، وبرزت فيها العصبية القبلية تحديداً في فترة الخلافات التي برزت في عهد علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وقد كانت فترة قتال بينهما، وتعصب الناس لها، فبدأت النقائض في النمو، واشتعلت نيرانها، لكنها فقدت الكثير من خصالها عما كانت فيه في صدر الإسلام.

النقائض في العصر الأموي:

تميزت النقائض في العصر الأموي، وكان لها نهضة فنية خاصة بعد فتور، واعتمدت على فني الفخر والهجاء أكثر من غيرها، ولما كانت النقائض كثيرة العدد ومديدة الطول، كثرت قوافيها، وعاد الشعراء إلى إحياء قواف قديمة وحديثة، سداً لحاجة النظم واستكمالاً لأبواب المناقضة، ظهرت ثروة لغوية أَثّرتْ المعاجم بمادة غزيرة، ووفرت للشعراء والخطباء والكتاب ذخيرة كلامية نافعة[1].

تطور فن النقائض وظهر بمصطلح آخر،وهو السخرية مع بداية الخلافة الأموية، بسبب الصراعات السياسية والحزبية بين المسلمين، وقد تجلى طابع السخرية و الفكاهة في شعر جرير والفرزدق والأخطل إلى الحد الذي شكلت مع**(جرير)** ظاهرة فنية جديرة بالدرس والتحليل تهدف إلى استبطان جوانبها النفسية والاجتماعية، وتحلل بواعثها الأصلية في نفسية الشاعر، وذلك في إطار الغرض الشعري الذي اصطلح عليه عند الأدباء والنقاد بـ **(فن النقائض)**. فمن الوهلة الأولى يظهر العديد من الدوافع النفسية الكامنة في شخصية الشاعر، وهي تمثل المحرض الأول والدافع الأهم في انتشار هذه الظاهرة في فنه، فضلاً عن المقتضيات الفنية والأدبية التي تتطلبها ساحة النزال ،والمعترك القائم بينه وبين خصومه من الشعراء[2].

اختلفت الأوضاع الحياتية والسياسية والاجتماعية في العصر الأموي، حيث استقر حال القبائل، وبدأت كل قبيلة تبحث عن أمجادها ومفاخرها ومآثرها، لتؤكد أفضليتها على القبائل الأخرى، بعدما توطدت مساكنهم، وبدأ كل من الشعراء بالمفاخرة بقبيلته وحسبه ونسبه، وآخر يسخر لضعف حسبه ونسبه وفقر قبيلته، وهدف الشعراء من المفاخرة بقبائلهم وأمجادها هو لفت اهتمام

([1]) انظر الشايب، أحمد، **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، ط3، مرجع سابق، ص 446.

([2]) مشتوب، سامية، **السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة**، مرجع سابق، ص 14.

الأمويين نحوها، وتطور هذا الهدف حتى أصبح التعصب ملحوظاً، ولم يجد الشعراء جدوى لهذه العصبية لدى الدولة الأموية، وبدأ الشعراء بأخذ منحى آخر، ظهر بتصوير فكاهي لحركة العصبية، وإنشاء مسرحيات ومواقف يتلهى بها الشعب، ويندحر للماضي، وكانت للحكومة الأموية منفعة في إلهاء الناس عن واقعها، حيث عملت على تفرقة القبائل بمدافن الماضي بدعم كامل وتحت رعايتها.

إن القريحة التي امتلكها الشعراء والقدرة على صوغ المفردات لم يملكها أي إنسان آخر، فنظرتهم ثاقبة، وخيالهم واسع. فلم تكن العصبية القبلية والنقائض هي من أحيت فن الشعر، فالعصر الأموي حمل في ظاهره حرية القلم والفكر والإبداع، ولكن حقيقته مغايرة، فباطنه حمل السيف والترهيب والخوف، بل كان عنوان التعامل مع عامة الشعب الترغيب عبر الترهيب، كما جاء عند **(ابن قتيبة)** عن معاوية يقول:"لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا، ومن المستحيل كم الأفواه أو تنطق بما يُراد، وترضي الناس غاية لا تدرك"[1].

لقد استطاع الأمويون أن يسيروا عامة الناس كما يريدون، فحاولوا إقناعهم بأنهم أصحاب حقٍ، وأنهم يمتثلون لأمر الله، ويطبقون شرعه على أرضه، وأن الله قد أيدهم، وأنار لهم الدرب، وأنه لن يتركهم، ومن خلال ذلك استطاعوا أن يوجهوا الناس، ويفعلوا ما يريدون بما يخدم حكمهم، ومن أمثلة ذلك عندما أبى **(عبد العزيز بن مروان)** طلب **(عبد الملك)** بالتنحي دعا عليه: "اللهم قد قطعني فاقطعه، فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام: "ردّ على أمير المؤمنين أمره، فدعا عليه،

([1]) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (276هـ)، **عيون الأخبار**، ضبطه ووثق نصوصه الداني ابن منير آل زهوي، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، 2003، ص30.

فاستجيب لهُ"[1]. فسياسة الأمويين والتي كان عنوانها السيف والترهيب كانت سبب الزهد والخوف في هذا العصر.

يرى الباحث أن النقائض فن تطور في عصر الأمويين، وصار أكثر تعقيداً مع تطور الحياة،فكان لها روادها ومن برع فيها، وبقي حتى يومنا هذا نتدارس فنهم فيها، وكان من أشهرهم جرير والفرزدق والأخطل، حيث أحيوا هذا الفن ما عاشوا، وزاد زمن نقائضهم على أربعين عاماً، فهؤلاء يشكلون عصب حركة النقائض، وفن النقائض شكل من أشكال المناظرة والجدال والمناقشة والحوار، وهي ميزة امتاز بها هؤلاء الشعراء دون غيرهم، ولعلهم أفادوا من علماء الفقه، وحلقات العلم، وتاريخ الأيام والوقائع، ويعد شعرهم في النقائض من أبدع ما قيل ،فمن يقرأ شعرهم سيجد أموراً بسيطة سخروها لخدمة شعرهم، غابت عن أذهان الناس، وهذا ما جعلهم عصب هذه الحركة.

قام فحول الشعراء كجرير والأخطل والفرزدق في هذا العصر بالعودة إلى ماضي الخصم في معرفة كل صغيرة وكبيرة، وما يتعلق بتاريخه وحياته السابقة، ومن ذلك قول جرير للأخطل:[2]

بكـــى دُوْبـــل لا يرقـــئُ الله دمْعَـــهُ ألا إنمـــا يبكـــي مـــن الـــذُّلِ دَوْبَـــلُ

قال الأخطل: "والله ما سمتني أمي دوبلاً إلا يوماً واحداً فمن أين سقط إلى الخبيث"[3]. وقد اكتملت صورة النقائض الفنية على يد فحول الشعراء الأمويين، وخبت حركة النقائض في العصر الأموي بموتهم.

([1]) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ)، **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط5، ج6، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص414.

(2) **ديوان جرير**، الصاوي، محمد إسماعيل عبد الله، ، مضافاً إليه تفسيرات العالم اللغوي أبو جعفر محمد بن حبيب، دار الأندلس، بيروت، ط1،(د. ت)ص455.

([3]) الجمحي، محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، د.ت، ج1ص 481.

تأثر شعراء النقائض بالشعر القديم لسعة اطلاعهم، ولا يمكن اكتشاف هذا التأثر بسهولة، لقدرتهم على التغيير والتحوير، لم يتأثروا فقط في بناء القصيدة، ومن أمثلة ذلك تأثر الأخطل بالنابغة، عندما قدم لنا صورة مركبة، قائلاً[1]:

فمـــا الفـــرات، إذ جاشـــت غواربُـــهُ ترمـــي أو اذيّـــهُ العِبْـــرينِ بالزَبَـــدِ

يمـــدُهُ، كـــلُّ وادٍ مُتـــرعٍ، لجَـــبٍ فيـــه رِكـــام، مـــن الينبـــوتِ والخَـــضِرِ

يظـــلُّ مـــن خوفـــه المـــلاّح معتـــصماً بالخيزرانـــة، بعـــد الأيـــنِ، والنَّجـــدِ

يومـــاً، بـــأجود منـــه سَـــيبَ نافلـــةٍ ولا يحـــول عطـــاءُ اليـــوم دون غـــدِ

فينهل الأخطل من هذه الصورة ليصف لنا كرم عبدالملك ويتخذه وسيلة لمدحه[2]:

ومـــا الفُـــراتِ إذا جاشـــتْ حوالبـــهُ فـــي حافتيـــهِ وفـــي أوســـاطهِ العُـــشَرُ

وذعذعتـــه ريـــاحُ الـــصيفِ واضـــطربَتْ فـــوقَ الجـــآجِئ مـــن آذيْـــه غُـــدُرُ

مُـــسحنفراً مـــن جبـــالِ الـــرومِ يـــسترُهُ منهـــا أكـــافيفُ فيهـــا دُونَـــهُ زَوَرٌ

يومـــاً بـــأجودَ منـــهُ حـــينَ تـــسألهُ ولا بـــأجهرَ مِنْـــهُ حـــينَ يجتَهَـــرُ

إن معاني الأبيات قُدمت على هيئة نقائض شعرية، عمل على إلهاء الجمهور، وإضحاكه، من أجل أن تنسيه حوادث عصره، إلا أنها كانت مراقبة، وتحت أنظار السلطة، فكانت تُضحك الناس وتسليهم، تسيء للمخاطب، لكنها لا تثير وجداناً فيه، وتذكره بما كان من هزائم ومذلة، مرت عليه لكنها لا تحرك عاطفة، ولا تدعو لقتال، وعلى الرغم من كل ذلك فإنها لا تلهب النفوس، ولا

([1]) النابغة الذبياني، أبو أسامة زياد بن معاوية بن ضباب (604)، **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، 1980، ص36-37.

([2]) الأخطل، **ديوان الأخطل**، سوزان عكاري، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص119.

تثير الحمية فيهم. ويتمثل هذا الأمر في المقطع التالي من خلال قول جرير هاجياً الفرزدق، يقول[1]:

أخـــتُ الفـــرزدقِ مـــن أبيـــهِ وأمِّـــه باتَـــتْ وســـيرتُها الوجيـــفُ الأرفَـــعُ

قـــد تعلـــمُ النَّخبـــاتُ أن فتـــاتَهُمْ وُطئـت كمـا وُطـئَ الطريـقُ المَهيَـعُ

هـــلاَّ غَـــضبتَ علـــى قـــرومِ مُقـــاعِسٍ إذ عجَّلـــوا لكـــمُ الهـــوانَ فأســـرَعوا

برع جرير في سياق من التصوير الفني بابتكار صور كاريكاتيرية، تتجلى فيها معالم الدقة والتصوير والإيجاز، والتي تمثل أحد أهم الوسائل الفنية المهمة في تحقيق عنصر السخرية في شعره، وإبداعه المستمر في العديد من اللوحات التصويرية التي رسم فيها للفرزدق صوراً ساخرة مضحكة تارة، وتارة أخرى على صورة قرد، وغيرها من الصور، وكان يجسد هذه الصور في العديد من منافسيه.

وقد حضر الشعراء جلسات النقاش والمجادلة والمحاورة، واشتركوا في بعضها، وعلى سبيل المثال فقد كان يلزم الفرزدق حلقة الحسن البصري، وكان جرير يلزم حلقة ابن سيرين، وكانوا يفيدون منها ويتعلمون طرقها وأساليبها[2]. وفي إحدى حلقات الحسن البصري وذلك ما رواه صاحب الأغاني أن "رجلاً سأل الحسن البصري يوماً، وعنده الفرزدق عن اليمين اللغو في الكلام من مثل قوله: لا والله، فقال الفرزدق له: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ فقال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا، فما قلت؟[3] فقال: قلت:"[4]

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص349.

([2]) انظر محمد سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، مصدر سابق، ج2 ص 551.

([3]) الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج21، ص 28.

([4]) الفرزدق، **ديوان الفرزدق**، شرح الأستاذ: علي فاعور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1987، ص611.

ولـــــست بمـــــأخوذٍ بلغـــــوٍ تَقولُـــــه إذا لـــم تَعَمَّـــدَ عاقـــدات العـــزائم

جاء في الوقت نفسه شخص آخر، فسأل الحسن عن سبيّة الحرب المتزوجة، أتحل لمن سباها؟ فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ وأنشد:

وذاتِ حليـــــلٍ أنكحتهـــــا رِمَاحُنَـــــا حـلالاً لِمـن يبنـي بهـا لـم تُطلَّـقِ"[1]

للنقائض أصولها وقواعدها الشعرية؛ من حيث المضمون، فتعتمد النقائض على الاستهزاء والسخرية لنقد أي موضوع من مواضيع الحياة العامة والخاصة، مثل **(السياسية والاجتماعية والاقتصادية)**، وتعرفها بصورة ساخرة، واستخدام النقائض والمفارقات والمتضادات، ويصل الأمر إلى تضخيم العيوب والكشف عن الضعف بلغة تهكمية لاذعة. وظهرت معان جديدة تولدت أثناء الحوارات المتواترة كما يظهر في قول جرير كموت الهوى:[2]

ولقـــد أرى بِـــكَ، والجديـــد إلـــى بِلـــى مـوتَ الهـوى وشِـفاء عـين المجتلـى[3]

لقد ساهمت عدة عوامل في تأجيج فن النقائض في العصر الأموي وولع الشعراء فيها وهذه العوامل يمكن ملامستها في:

1. العوامل السياسية:

كانت للعوامل السياسية والتحزبات في العصر الأموي الدور الكبير في ظهور هذا النوع من الفن الشعري (النقائض)، وبدأ الشعراء بالتحزب للفئة التي ينتمون لها، والمدح والذم وتوظيف الألفاظ القوية، وظهور مصطلحات جديدة في قاموس اللغة العربية في تلك الفترة.

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص398.

([2]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص443.

([3]) الأصفهاني، **الأغاني**، ، مصدر سابق، ج21،ص 28.

2. العوامل النفسية:

هناك عدة دوافع تساهم في تشكيل شخصية الشاعر في ساحة الهجاء والنقائض، ويلفت النظر ذلك الإحساس النفسي، إما بالضعة والهوان التي تتملك الشاعر بسبب هوان أسرته وفقر قومه، والنشأة المعدمة كما هو حال الشاعر جرير، الذي ينحدر من قبيلة فقيرة، فهذه الأسباب فجرت ينابيع الإبداع في نفسيته، وشخصيته المتفردة في الهجاء والنقائض، وقد يشكل العامل النفسي لبعض الشعراء الفخر والتعالي والتحدي والشموخ لعراقة الأصل،ومنعة الأهل كالفرزدق[1].

3. العامل الاجتماعي:

يشكل أحد الأسباب القوية التي ولدت حقداً دفيناً في نفس الشاعر، حتى دفعه إلى استخراج كل مثلبة، ورصد كل عورة يمكن أن تنقص من قدر هذه الطبقة، وخاصة العيوب الأخلاقية والجسدية.

4. العامل الموضوعي:

إن واقعية النقائض، وطبيعتها الموضوعية تشكل عاملاً قوياً في لجوء الشاعر إلى عنصر الاستهزاء والإضحاك، ذلك لأنها تختلف اختلافاً كبيراً عن الهجاء في الجاهلية، حيث كان الشعراء يخوضون معارك كلامية تراق فيها الدماء، ويتصدون لنزاعات هم فيها ألسنة قبائلهم، والأسلحة المشرعة في وجه الأعداء بقصد الانتقام والتشفي والثأثر والاعتداء، أما النقائض بين جرير والفرزدق والشعراء بشكل عام فكانت نوعاً من المفاخرة والمهاجاة لا تبلغ أن تثير الأحقاد أو تؤجج

([1]) انظر: طه، نعمان أمين، **جرير حياته وشعره**، دار المعارف، القاهرة، سلسلة نوابغ الفكر، (د.ت)، ص331.

العداء بل "هي عمل يراد به قبل كل شيء تسلية الجماعة العربية الجديدة في البصرة، حيث تكون المجتمع العربي هناك في شكل مدينة لأول مرة في تاريخ القبائل التي نزلت البصرة"[1].

لدى متابعة الدراسة خلصت إلى أنه لا يمكن المقارنة بين النقائض الجاهلية والنقائض الأموية التي قورنت بكافة نواحيها الشكلية والفنية والحياتية، ولا يمكن وضع النقيضة الأموية أنموذجاً يقاس عليها، لأن لكل أدب في أي عصر خصوصية، واختلاف الظروف المعيشية والحياتية، ولا يمكننا تجاهل أي عصر كان له تأثير في النقائض من العصور التي سبقت العصر الأموي.

إن تطور فن النقائض وانتشاره مع بداية الخلافة الأموية،وتحول نظام الحكم من نظام الشورى إلى النظام الملكي الوراثي، تفشت الصراعات السياسية والخلافات الحزبية بين المسلمين، فعرف الهجاء في هذه الفترة أوج مراحل تطوره خاصة مع ثلاثي النقائض **(جرير، الأخطل، الفرزدق)**.

فقد جبلت النفس العربية على محبة الفخر وظلت العصبية القبلية مستمرة حتى عظم نارها، وتطاير شررها في العصر الأموي، وبحسب رأي **(عوض العتري)** "كان نتاجها أن ظهر فن النقائض الذي تحول في العصر الأموي إلى فن دائم مستمر، احترف القول فيه ثلة من الشعراء، جاء في طليعتهم جرير، والفرزدق، والأخطل"[2]. وقد جمع من شعراء ذلك العصر إلى جانب الاطلاع على الشعر القديم ثقافة واسعة، نشأت لهم من التحيل الدائب الذي ألزموا أنفسهم به؛

([1]) ضيف، شوقي، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، مرجع سابق، ص 182.

(2) العتري، عوض بن إبراهيم بن خليف، **أساليب الإنشاء الطلبي، في شعر جرير –دراسة بلاغية نقدية–**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2010، ص 1–2.

لتأثرهم ببيئة العصر الأموي الذي كان عصر جمع، وتصحيح، وتدقيق لما سبقه من عصر الجاهلية، وعصر صدر الإسلام، وبذلك حققوا أهم ركني العلم المتين، وهما: الحفظ، والرواية، مع ما جبلوا عليه من سلامة الطبع، وصفاء اللغة.[1]

انتشر في العراق شعر المناظرات ليلائم الطبيعة البدوية لأهل العراق ومزاجهم العقلي، وقد نجح هؤلاء الشعراء في رسم صورة شعرية مضحكة لخصومهم ومهجويهم، ولا سيما تلك التي رسمها جرير والفرزدق اللذان ظلا يتناظران شعراً طوال خمس وأربعين سنة، لإمتاع الجمهور وإشاعة جو من المناظرات العقلية، ورسم الصور الكاريكاتورية المضحكة، بالإضافة إلى الأخطل والراعي النميري، اللذين انضما إلى الفرزدق فلم يسلما من لسان جرير.[2]

وقد التزم الشعراء في العصر الأموي ببناء القصيدة الجاهلية من حيث أوزان النقائض، وملامحها في اختلاف الوزن واتحاد القافية، ووحدة الوزن واختلاف القافية، ووحدة الوزن والقافية واختلاف حركة القافية، واختلاف الوزن والقافية من حيث التكرار، وتكرار العبارة، ويمكن تحديد عدد من النماذج منها؛ قول الفرزدق:[3]

عفّى المنازلَ آخرَ الأيّامِ قَطُرٌ ومورّ واختلافُ نعامِ

وقول جرير:[4]

سَرتِ الهمومُ فبِتْنَ غيرَ نِيامِ وأخو الهُمومِ يَرومُ كُلَّ مَرامِ

([1]) انظر: البهبيتي، نجيب، **تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001، ص 186.

([2]) انظر: الغزالي، عبد الله محمد عيسى، **المكونات السردية للخبر الفكاهي –دراسة في أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي**، مجلة التراث العربي، كلية الأدب، جامعة الكويت، د.ت، ص 188–189.

([3]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص609.

([4]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص551.

وقول الأخطل:[1]

خــفّ القطــينُ فراحــوا مِنــكَ أو بكــروا وأزعجَــتْهُم نــويَ فــي صَــرفِها غيــرُ

من الملاحظ تعدد الصور الشعرية لدى الشعراء في هذا العصر، وتنوعها بمختلف أشكالها، فالصورة الشعرية هي التي تجعل من إبداع الشاعر أثراً فنياً، ومع استخدام الشعراء لفن النقائض فقد تمثلت بصور شعرية مبدعة.

إن هذا اللون من الإبداع الشعري الذي عُرفَ بفن النقائض، جاء ليلبي حاجة نفسية في المجتمع الأموي الجديد بالإضافة إلى أنه يمثل تجديداً في أحد الأغراض الشعرية، وبخاصة أن الحس الهجائي أصبح لوناً من ألوان التسلية وملئ الفراغ، حتى تطور إلى لون من الصراع الفني، والتباري في حَلبة الفحولة الشعرية، ما جعل شعراء كباراً مثل جرير والفرزدق والأخطل يكثرون من التنويع فيه، ويلجؤون إلى الحس الفكاهي، لتكون أحد الأسلحة المُشْرعة فيوجه الخصوم،حيث أجاد فيه جرير، وفاق نظرائه.

لم يقتصر فن النقائض على أعلامه المشهورين **(جرير والأخطل والفرزدق)**، وإنما شاع بين عدد غير قليل من الشعراء ، لكن هؤلاء الثلاثة كانوا أشعر أهل عصرهم، وسيقدم المبحث الثاني لبعض من أعلام هذا الفن.

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ص116.

المبحث الثاني

من شعراء النقائض في العصر الأموي

هناك بعض من أعلام النقائض في العصر الأموي، لكنهم لم يكونوا بشهرة فحول النقائض (جرير والأخطل والفرزدق)، وهم:

أولاً: البعيث المجاشعي الدارمي:

أبو مالك، خداش بن بشر خالد بن حارث المجاشعي، خطيب وشاعر من فحول الشعراء في العصر الأموي، من أهل البصرة، ولادته بعد عام 25هـ وقبل عام 30 هـ،أمه أصبهانية تدعى وردة، لقب ب البعيث لقوله:

تبعّثّ منّي ما تبعّث بعدما أُمِرّت قواي واستمّر عزيمي

حيث إنه قال الشعر بعدما تقدمت به السن وحنكته التجارب، في حين أن البعيث لم يكن منفردا في هذا اللقب، فقد عرف به طائفاً من الشعراء، منهم البعيث التغلبي، والبعيث الحنفي. [1]

اشتهر البعيث في الخطابة والشعر، حيث إن الجاحظ يذكره مع الذين جمعوا موهبة الخطابة والشعر وقال فيه الجاحظ " اخطب بني تميم البعيث إذا أخذ القناة" [2].أي تخصّر بالعصا ولم يصل شيء من خطبه، وإنما وصل بعض شعره.

إذ كان أحد من هاجوا جريراً من الشعراء، وكلاهما من قبيلة تميم، إلا أن البعيث من بني مجاشع، وجريراً من بني كليب بن يربوع، واشتد الهجاء بين الفرزدق وجرير والبعيث المجاشعي،

([1]) انظر: البعيث المجاشعي، **شعره**، تح، د. ناصر محمد حسين، دار الحرية، بغداد، 1974، ص5، 6.

([2]) الجاحظ، أبو عثمان بن عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ) **البيان والتبين**، تح عبد السلام هارون ،ج1، دار الفكر، بيروت، (د.ت) ص45.

والسبب في ذلك أن فتية من يربوع يقال لهم بنو ذهيل، سرقوا إبلاً للبعيث، فطلبها البعيث حتى وجدها في أيديهم فقالوا : إنما كانت مع لص فانتزعناها منه وكانت بينه وبينهم صلة رحم من قبل النوار بنت مجاشع، وكانت والدتهم، وغسان السليطي يومئذ يهاجي جريراً ، فجعل البعيث يقول: وجدنا الشرف والشعر في بني نوار بنت مجاشع ، فبلغ ذلك عطية بن جُعال أحد بني غُدانة بن يربوع، فقال : وما أنت وهذا يا بعيث؟ أتدخل بين يربوع وأنت رجل من بني مجاشع؟! فبلغ ذلك جريرا فهجا البعيث وقومه بقصيدته:[1]

طـــافَ الخيـــالُ وأيـــنَ منـــكَ لمامـــا فَـــأُرجع لِـــزَورِكَ بالـــسَّلامِ ســـلَاما

فقال البعيث، وقد أغضبه قومه بعدما صفح عن بني الخطفي:

أجريـــرُ أقـــصِر لا تَحِـــن بـــك شِـــقوةٌ إن الـــــشقيّ تـــــرى لـــــه أعلامـــــا

حتى إذا غم جرير نساء بني مجاشع أتين الفرزدق، وكان قيد نفسه حتى يجمع القرآن، وعاهد الله أن لا يهجو أحداً، فقلن: قبح الله قيدك، فقد هتك جرير عورات نسائك، فلحيت شاعر قوم فأحفظنه ففض قيده، وكان قد تنبأ بالتحامه مع جرير. فلما رأى ما وقع فيه البعيث، قال قصيدته هاجياً فيها جريراً:[2]

ألا اســـــتهزأت منّـــــي هُنيـــــدةُ أن رأت أســـيراً يُـــداني خطـــوةُ حلـــقُ الحجـــلِ

فقال البعيث بأخرى يهجو جريراً ويجيب الفرزدق يقول فيها:

أهـــاج عليـــك الـــشوق أطـــلالُ دمِنـــةٌ بناصـــفة الجـــوّين أو جانـــب الهَجـــل

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 541

([2]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص487

فقال جرير يجيب البعيث، ويهجو الفرزدق: [1]

عُــوجِي علَينــا واربَعِــي رَبَّــةَ البغَــلِ وَلَاَ تقتُلِينِــي لاَ يَحــلُّ لَكُــم قَتلــيِ[2]

فقد كان البعيث من فحول شعراء العصر الأموي، وقد وصفه ابن سلام بقوله: كان البعيث شاعراً فاخر الكلام حر اللفظ، وجعله في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام على أنه لم يصل من شعره إلا القليل وجله في الهجاء. [3]

والقصيدة عنده تقليدية البناء والمعنى، فهي تبدأ بمقدمة غزلية ووصف الأطلال، ويلي المطلع التقليدي جزءاً طويلاً في الفخر والمدح، وفخره هو مألوف ومكرر، ثم تختتم القصيدة عنده بأبيات في الهجاء، وشعره بوجه عام أوغل في الحوشية والبداوة من صاحبيه جرير والفرزدق، وسبب ذلك أنه كان بدوي النشأة، وقد قضى حياته راعياً للإبل ولا نعرف عنه أنه سكن الحواضر الإسلامية طويلاً، وهو أيضا مثل صاحبيه يفحش ويقذع. [4]

([1]) جرير **ديوانه**، مصدر سابق، ص460.

([2]) الشايب أحمد، **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، مرجع سابق.ص245،244.

([3]) انظر: الجمحي ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، مصدر سابق، ج2ص 535.

([4]) البعيث المجاشعي، **شعره**، مصدر سابق، ص4.

ثانياً: عمر بن لجأ التيمي:

هو عمر بن لجأ بن حدير بن مصاد بن ربيعة بن الحارث التيمي، من بني تميم بن عبد مناة، والتيم قبيلة عمر بن الرباب، ولم يكن حوله معلومات وافية، وليس له ترجمة في المصادر إلا إشارات سريعة وكل ما لدينا من معلومات عنه مرتبطة مع ترجمة جرير وأخباره مع التيم، وهناك روايات حول وفاته، حيث يوجد إشارة لابن قتيبة في الشعر والشعراء يقول إنه مات في الأهواز، ويخمن الزركلي أنه توفي سنة 105هـ وهذا التاريخ غير راجح، نستطيع أن نستنتج من رواية تشير إلى أن الوليد بن عبد الملك زار المدينة وسمع يهاجي جرير وابن لجأ فأمر بضربهما، وأقيما على البلس مقرونين، وكان ذلك في سنة 93هـ وكان جرير شيخاً،وعمر أشب منه وأقوى، وإذا عرفنا أن جرير قد توفي سنة 110هـ وكان عمر في هذه الفترة شاباً قوياً كالحصان فلابد أن تتأخر وفاته بعد ذلك حقبة طويلة، وهو شاعر من شعراء العصر الأموي الفحول الذين لج جرير في هجائهم وفضحهم وأقذع في وصف عوراتهم وهتك أعراضهم، ويشير جرير إليهم في قوله:[1]

تَمَنَّى رجالٌ من تَميمٍ ليَ الرَّدى وَمَا ذَادَ عَن أَحسابهم ذائدٌ مِثلي

ويقول أبو عبيدة أنه أراد بهم الفرزدق والبعيث المجاشعي وعمر بن لجأ، وغسان السليطي، والمستنير بن عمرو وهو البلتع،وينوه جرير بالثلاثة الأوائل، ويضيف إليهم رابعاً،وهو الأخطل على أنه أشد من هجاهم،وذلك في قوله مخاطباً الأخطل:

وعلقتَ في قرنَ الثَّلاثةَ رابعاً مثلَ البكار لززنَ في الأقرانِ

قيل الثلاثة: الفرزدق، البعيث، عمر بن لجأ والرابع هو الأخطل.[2]

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص462.

([2]) انظر: عمر بن لجأ التيمي، **شعره**، د. يحيى الجبوري، دار القلم للنشر، الكويت، ط4، 1986،ص6، 9.

كان أول ظهور شخصية عمر في بدء الهجاء بينه وبين جرير، وتختلف الروايات في صياغة الخبر وكيفيته، وأوفى الروايات ما ذكره أبو عبيدة، قال: إن لقمان الخزاعي قدم على صدقات الرباب فكانت وجوه تحضر، وفيهم عمر بن لجأ، فأنشده عمر:

تـــأوبني ذكـــر لزولـــة كالخبـــل وما حيث تلقى با لكثيب ولا السهل

تحـــل وركـــن مـــن ظمتّيـــه دونهـــا وجـــو قـــسى ممـــا يحـــل بـــه أهلـــي

تريـــدين أن أرضـــى وأنـــت بخـــيلاً ومـن ذا الـذي يرضـى الأخـلاء بالبخـلِ

حين فرغ منها فقال له لقمان: مازلنا نسمع بالشام أنها كلمة جرير، فقال عمر: إني لأكذب شيخ في أرضي أن ادعيت شعر جرير، ثم أنشده على رؤوس الناس جميعاً والرباب حضور، فأبلغ لقمان جريراً قوله عمر، قال: وزعم أنك سرقتها منه فقال له جرير: وأنا أحتاج أن أسرق قول عمر، وهو الذي يقول، وقد وصف إبله وجعلها كالجبال وجعل فحلها كالظرب، فقال:

كـــالظرب الأســـود مـــن ورائهـــا جـــرَّ العجـــوزِ الثنِّـــي مـــن خفائهـــا

والله ما شعره من نمط واحد وإنه لمختلف الفنون، فأبلغ لقمان عمر قول جرير وما عاب عليه من قوله، فقال عمر: يعيب عليّ قولي: جرِّ العجوزِ الثنِّى من خفائها وإنما أردت لينه ولم أرد أثره، فقد قال أقبح من ذلك وهو قوله:

وأوثـــقُ عنـــدَ المردفـــاتِ عـــشَّيةً لحاقـــاً إذاَ مـــا جـــردَ الـــسيفَ لامـــعُ

فلحقهن بعدما نكحن وأحبلن، فلما بلغ الخبر جريراً وما عاب عليه من شعر غضب جرير فهجاه وحذر التيم من فعلات عمر فقال: [1]

يـــاتَيمُ تَـــيمَ عَـــدَىّ لا أَبَـــا لَكُـــمُ لَاُ قـــوقعنّكُمُ فـــي سَـــوأَةٍ عُمَـــرَ

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص285، 284.

خَـلَّ الطّريــقِ لِمــن يَبنــي المنــار بِــهِ وَأُبــرُز بَبــرزَةَ حَيــثُ اُضــطَرَكَ القَــدرُ

فأجابه عمر في قصيدة طويلة يناقضه:

لقــد كــذبتَ وشــرُّ القــولِ أكذبــهُ مــا خــاطرت بــي عــن أحــسابها مُــضَر

بــل أنــتَ نــزوةَ خــوارٍ علــى أمــةٍ لــن يــسبقُ الحلبــاتِ اللــؤمُ والخــورُ

ثم التحم التهاجي بينهما، فلما بلغ التيم أتوا عمر، وقالوا:عرضتنا لجرير، وسألوه الكف فقال: أكف بعد ذكره برزة، وبرزة أمه، وذلك في بيت جرير السابق وفي قوله أيضا:[1]

أنــتَ اُبــنُ بَــرزةَ مَنــسُوباً إلــى لَجَــأ عَبــدُ العُــصارَةِ والَعِيــدانُ تُعتَــصَرُ[2]

نظم جرير في هجاء عمر وقبيلته التيم أربع عشرة قصيدة بالغة الهجاء شديدة الإقذاع، ورد عليه عمر بعشر قصائد طوال يناقضه فيها، ويكيل له الصاع صاعين فحشاً وإقذاعاً وشتيمة وافتراء.

وكان جرير يشعر بشدة خصمه وصلابته، فإذا ما سئل عنه، كان يداري، ويجيب جواباً غير مقنع، فقد سأله ابنه حجناء فقال:قلت لأبي: يا أبت ما هجوت قوما قط إلا أفسدتهم سوى التيم، فقال: إني لم أجد حسبا أضعه ولا بناء أهدمه، أو يقول عنهم :إنهم شعراء لئام. وكان عمر بن لجأ يميل إلى الفرزدق ويناصره، فحين يناقض جريرا كان يفاضل بينهما ويرجح الفرزدق قوله على جرير.

في مثل قوله:[3]

مــا كــان ذنبــي فــي الفــرزدق أن هجــا فهجوتــــــه فتخيــــــر الأمثــــــالا

فغــــــدوتما وكلاكمــــــا متبــــــرع نــــــدب المــــــوالي إذ أراد نــــــضالا

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص286.

([2]) عمر بن لجأ، **شعره**، مصدر سابق، ص9، 10.

([3]) **المصدر نفسه**، ص12، 14.

فـــدعا الفـــرزدق حاجبـــا وعطـــارداً والأقـــــرعين وحابـــــسا وعقـــــالا

وقد كان عمر بن لجأ من فحول شعراء الإسلام الفصحاء المتقدمين، ووضعه ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول شعراء الإسلام، [1] وكانت التيم تسكن في البادية، لذلك نشأ عمر فصيحاً لا يلحن، وكان شعره فيه جزالة وفخامة، وقوة، يعبر عن حياة الصحراء، وصورها ويستمد منها تشبيهاته واستعاراته، وأمثاله في نسج قوي محكم مترابط وامتازت قصائده بالطول، فله قصيدة بلغت تسعة وأربعين ومائة بيت، ولأن عمر رجل بدوي فقد كان أعرف الناس بالناقة،ويعد أنه أوصف الشعراء للناقة في الرجز، وهو من القلة من الشعراء الذين جمعوا الرجز والقصيد.[2]

وإن أهم ما وصلنا من شعر عمر قصائد عشر في هجاء جرير يرد عليه فيها، وينقض قصائده، وكلها في الهجاء على نمط قصائد جرير الطويلة، يبدأ عامتها بالغزل ووصف الديار، ثم يتخلص إلى الهجاء فيقف عنده وقفة طويلة يفرغ فيه كل ما تجود به قريحته من ألوان الشتيمة والسباب والنقض والتعيير، ويمزج ذلك كله بفخر متعال بقومه ونفسه والأيام التي خاضتها قبيلته، أو شهدتها في الجاهلية والإسلام، وظاهرة الإقذاع في شعر الشاعرين أمر مفروغ منه، إذ لم يتركا جانباً من عورات النساء إلا وصفاها بشكل بذيء مبالغ فيه.[3]

([1]) الجمحي، ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، مصدر سابق، ج1، ص434.

([2]) ينظر عمر بن لجأ، **شعره**، مصدر سابق، ص17.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 18

ثالثا: سُراقة البارقي:

هو سُراقة بن مرداس البارقي الأصغر بن أسماء بن خالد بن عوف بن عمرو بن سعد بن ثعلبة بن كنانة بن بارق، وبارق بطن من الأزد.

لم يستطيع **د.(حسين نصار)** أن يعرف شيئاً عن مولد سراقة ونشأته، إلا ما يمكن استنباطه من شعره، وإنه لقليل، ويظن أن كثيراً منه قد ضاع كما ضاع شعر غيره من الشعراء. ويظهر لنا سُراقة أول ما يظهر عام 66هـ محارباً للمختار ثائراً عليه مع أشراف الكوفة، بعد استيلائه على ولايتها بقليل، ولكن المختار لا يلبث أن يخمد الثورة ويقبض على زعمائها، ومن بينهم سراقة فيأمر بحبسهم، فيعتذر إليه سراقة ويمدحه بقوله:

ألا أبلغ أبا إسحاقَ أنَّا نَزَونا نزوةً كانت علينا
خَرَجنا لانرى الضعفاءَ شيئاً وكان خروجُنا بَطَرا وحَينا
لقينا منهمُ ضرباً طلَخفا وطعناً صائباً حتى انثَنَينَا
نُصِرتَ على عدوِّكَ كلَّ يومٍ بكلِّ كتيبةٍ تَنعَى حسينا

ثم يدعي أنه رأى الملائكة تحارب مع المختار، وهذا ما كان يزعمه المختار، وإن الذي هزمه وأسر قومه هم الملائكة الذين كانوا يلبسون الثياب البيض، ويركبون الخيل البلق، ويلحقون بها بين السماء والأرض، وفي هذا الموقف تظهر سعة حيلة سراقة ودهاء المختار السياسي، فسراقة يستغل آراء المختار.[1]

([1]) انظر البارقي، سراقة، **ديوانه**، تح د. حسين نصار، القاهرة، ط1، 1947 ص4.

قد كان أحد الشعراء الذين هجوا جريراً حيث حرضه بشر بن مروان الذي كان مغرماً بتحريض الشعراء وإثارة بعضهم على بعض حتى يتهاجوا ويتلاحموا، ويمسك بعضهم بتلابيب بعض، يحرضه على هجاء جرير، وتفضيل الفرزدق، فيقول قصيدته:

لمِـــنَ الـــديارُ كـــأنهن ســـطورُ قفـــرٌ عَفَتـــه روامـــسٌ ودهـــورُ

ويقول فيها:

إن الفـــــرزدق بـــــرَّزت حَلَباتُـــــه عفـــوا وغُـــودرَ فـــي الغبـــار جريـــرُ

ذهـــب الفـــرزدقُ بالفـــضائلِ والعُلَـــى وابـــنُ المَراغـــةِ مُخلَـــفٌ محـــسورُ

وقد نسخ بشر القصيدة، وأرسلها إلى جرير، وأمره أن يجيب عنها، فثارت ثورته، ولم ينم ليلته حتى نظم قصيدته:[1]

يـــا صـــاحبَيَّ هـــلِ الـــصَّباحُ مُنيـــرُ أَم هَـــل لَلـــومِ عَـــواذلى تَفتيـــرُ

ويقول فيها:[2]

أَسُـــرَاقَ قَـــد عَلَمـــت مَعَـــدٌّ أَنّنـــي قـــدماً إذَا كُـــرِهُ الخيـــاضُ جَـــسُورُ

أَسُـــراقَ إنَّـــكَ قـــد غَـــشِيتَ بِبـــارِقٍ أمـــراً مَطَالعُـــهُ عَلَيـــك وُعُـــور [3]

وهناك خبر آخر عن سبب اشتباك سراقة بجرير، يقول: إن الذي حرضه هو محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زُرَارَةَ، الذي بذل أربعة ألاف درهم وفرساً، لمن فضل من الشعراء الفرزدق على جرير، فلم يقدم عليه أحد منهم إلا سراقة، وكان سبب اتصال الهجاء بينهما، ويظهر أن وقت الخصومة لم يطل فلا نقرأ في ديوانه إلا قصيدتين يهجو فيهما جريراً، كما أن جريراً لم

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص300.

([2]) **المصدر نفسه**، ص301،

([3]) انظر، البارقي، سراقة، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 7

يذكره في ديوانه إلا نحو ثلاث مرات.[1] هذا أغلب ما يعرف عن تاريخ سراقة الذي ظهر على مسرح الشعر عام 66هـ ، وقد عرف سراقة بظرفه ، زوارا للملوك محبوباً لديهم ، وقد كان أيضا شديد الاعتداد بقبيلته بارق متعصباً لها،بعد أن محا الإسلام أمر العصبيات، ولكن عادت سيرتها الأولى في عهد بني أمية بفضل السياسة التي انتهجوها سياسة التفريق بين القبائل والميل إلى المضرية تارة ، وإلى اليمنية أخرى، وقصر الوظائف على إحداهما نكاية في الأخرى، ولا يعتد سراقة بعشيرته بارق وحدها، وإنما يفخر بقبيلته الأزد، بل بجميع القبائل اليمنية مما نراه شائعا في قصائده ومقطوعاته فهو يذكر فيها:[2]

أبــت عــينُ ابــنِ عمِّــك أن تنامــا بجنــبِ الطَّــفِّ واحــتمَّ احتمامــا

جمهور القبائل اليمنية واحدة واحدة،يسبغ عليها كل محمد فهذه الأزد:

وقــد أحمِــى الحقيقــةَ كــل يــومٍ وتحمــي الأزدُ أنفــى أن أرَامــا

أنــاسٌ يــأمنُ الجيــرانُ فــيهم كمكــةَ مــا تمــسُّ بهــا الحَمامــا

وهناك قصص أخرى تدل على ذلك الاعتداد، فهذه قصته مع كثير، وتلك قصته مع إبراهيم بن الأشد النخعى اليمنى، الذي حارب في صف المختار ضد اليمنين والربعيين، أي كان مناهضاً لسراقة وقومه، ولكنه عندما قتل إياس بن مضارب وهددته ربيعة، لم يتذكر سراقة العداء الذي بينه وبين إبراهيم، والحلف الذي بينه وبين ربيعة، وإنما تذكر القرابة بينه وبين إبراهيم، فهما يمنيان، نراه يمدحه ويهجو حلفاءه من ربيعة:

أتُوعُــدنا ربيعــةُ فــي إيــاسٍ وأيَّ الــدهرِ أوعَــدَنا قَبيــلُ

([1]) انظر، الأصفهاني، أبو الفرج، **لأغاني**، مصدر سابق،ج8، ص 68

([2]) البارقي، سراقة، **ديوانه**، مصدر سابق، ص9.

حـــــــروريٌّ تَكنَفَـــــــه المـــــــوالي وعـــــضَّ برأسِـــــه ســـــيفٌ ثقيـــــلُ

وإبـــــــــراهيمُ مُعتَـــــــــزٌّ هزَبـــــــــرٌ لـــــه مئـــــةٌ تقـــول كمـــا يقـــولُ

يمانِيَـــــةٌ تـــــذود النـــــاسَ عنـــــه وتخِطـــــر فـــــي جوانبهـــــا الفحـــــولُ

وبسبب تلك العصبية الغالية، وهذا الغلو الجموح، أطلقت عليه لقب **(شاعر الأزد)** أو **(شاعر اليمن)** في تلك الفترة من الزمن.[1]

قد نظم سراقة شعره في ثمانية أغراض هي: الاستعطاف، الحكمة، الفخر، الحماسة، المدح، الهجاء، الوصف، الرثاء.

والغرض الذي غلب على غيره في ديوانه هو الهجاء، وهو ضربان:نقائض، وهجاء عادي.

فالنقائض مع جرير ثم مع الفرزدق، أما الهجاء العادي فقد كان موجهاً للمختار، وكثير والقبائل الشمالية، وفي غالب الأمر يرجع ذلك الهجاء إلى سبب قبلي'، فهو يهجو المختار لمحاربته قومه، ويهجو كثيراً لتنصله من اليمن، وادعائه أن خزاعة من كنانة قريش، ويهجو جريراً لأن محمد بن عمير قريب الفرزدق يبذل الأموال لتفضيله على جرير، أو طاعة لأمر بشر، الذي كان مغرماً بإثارة الهجاء بين الشعراء، ليلتفت بعض القبائل إلى بعض، ولا تجد الفراغ للالتفات إلى الخليفة الأموي.

سراقة في نقائضه مع جرير يهجو يربوعا رهطه بالبخل والضعف والخفة:**(1)**

([1]) انظر: البارقي، سراقة، **ديوانه**، مصدر سابق، ص، 10.

فـــإن أَهـــجُ يربوعـــاً فـــإني لاأرى لـشيخِهمُ الأقـصى علـى ناشـئٍ فَـضلا

صـــغارٌ مقـــاريهم عظـــام جُعُـــورهم بطـاءٌ إلـى الـداعي إذا لـم يكـن أكـلا

قُبيِّلـــــةٌ لا يـــــدركون بَتـــــبلِهم ولا يـــسبقون الـــدهر مُطّلِبـــاً تَـــبلا

ويهجوهم بأنهم عبيد أخساء لؤماء يأملون الفرار:

حـــررٌ كُليبـــاً إن خيـــرَ ضـــيعةٍ يـــوم الحـــسابِ العِتـــقُ والتحريـــرُ

اضـرب علـيهم فـي الجَـواعِر حَلقَـةً تبقَـــى فـــإنَّ إبـــاقهمُ محـــذورُ

ويفضل الفرزدق على جرير يقول:

إن الفـــــرزدقَ بـــــرزت حلباتـــــهُ عفـــوا وغُـــودِرَ فـــي الغبـــار جريـــرُ

مـــا كـــان أولَ محِمَـــرٍ عثـــرت بـــه أنـــــسابه إن اللئـــــيم عُثـــــور

نقائض سراقة تختلف اختلافاً جوهرياً عن نقائض غيره من شعراء ذلك العصر، فنحن لا نرى فيها ذلك الإفحاش، ولا ذكر العورات التي أوغل فيها جرير والفرزدق، وهي مأثرة لسراقة تدل على أدبه ونزعته الأخلاقية الحكيمة، التي ظهرت جلية في إكثاره من الحكم والنصائح في شعره.[2]

([1]) البارقي، سراقة، **ديوانه**، مصدر سابق ، ص 20.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 21.

رابعاً: الراعي النميري:

هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

يكنى أبا جندل، والراعي لقب غلب عليه، لكثرة وصفه الإبل، وجودة نعته إياها. ولا تذكر المصادر شيء عن ولادته وتتناقض الروايات في تاريخ وفاته، فيزعم ابن سلام أنه توفي بعد سنة من هجاء جرير له حزناً وذلاً، ويذكر أبو عبيدة أن بني الهجيم قتلوه، ولذلك فلا يمكننا أن نحدد سنة وفاته، وإن تكن هناك أسباب كثيرة لاعتبار رأي نبيه حجاب القائل بوفاته عام 96أو 97هـ صحيحاً.[1]

هو شاعر من شعراء العصر الأموي الفحول،وقد كان له نصيب وافر في ميدان النقائض مع الكثير من فحول هذا العصر، وبخاصة جرير والأخطل، وتظهر شخصية الراعي النميري عندما كان عرَادة النميري من قيس عيلان نديماً للفرزدق، فقدم الراعي البصرة فاتخذ عرادة طعاماً وشراباً ودعا الراعي، فلما أخذ الكأس منه قال عرادة يا أبا جندل: قل شعرا تفضل به الفرزدق على جرير فلم يزل يزين له حتى قال:

يـــا صـــاحِبيَّ دنـــا الأصـــيلُ فَـــسِيرا غلـــب الفـــرزدقُ فـــي الهجـــاءِ جريـــرا

وكان الراعي شاعر مضر وذا سنها فلامه جرير وقال له: إنني وابن عمي هذا نُستبّ صباح مساء وما عليك غلبة المغلوب، ولا لك غلبة الغالب، فإما أن تدعني أنا وصاحبي، وإما أن يكون وجه منك إلي أن تغلبني عليه فإني أحق بذلك منك لانقطاعي إلى قيس وذبى عنهم، وحطبى

([1]) النميري، الراعي، **ديوانه**، تح، اينهرت فايبرت، بيروت، 1980،ص ى، م

في حبلهم، فقال له الراعي وهو من نمير القيسية صدقت، نعم، لا أبعدك من خير، ميعادك**(المربد)** غداً، فصبحه جرير، فبينما هما يستنبث كل واحد منهما مقالة صاحبه، رآهما جندل بن عبيد الراعي، فأقبل يركض على فرس له حتى ضرب وجه البغلة التي تحت أبيه الراعي، وقال: مالك يراك الناس واقفاً على كلب من كليب، وصرفه، فحما جرير وقال: أما والله يا ابن بروع لتأتين بني نمير بأعباء ثقال، إن أهلي ساقوا بي وبراحلتي حتى وضعوني لقارعة الطريق بالمربد، والله ما أكسبهم دنيا ولا آخرى إلا من سبهم من الناس، وإن عبيدا بعثه أهله على رواحلهم من أكناف **(خلص وهبود)** يلتمس عليها الميرة والخير، وأيم الله لأوقرن رواحله ممن ساء نسوة بني نمير، وبات جرير ليلته حتى طلع مع الصباح على المربد ببائيته المشهورة في الراعي وابنه وقومه والفرزدق، مفتخراً بقومه حتى ملئت قصيدته الآفاق، يقول:[1]

أَقِلِّي اللَّومَ عاذِلَ وَالعِتابا وَقُولِي إن أَصَبتُ لَقَد أَصابا

فأجابه الفرزدق بنقيضته:[2]

أنا ابنُ العاصمينَ بني تميمٍ إذا مَا أعظَمُ الحدثانِ نَابَا

وكان الراعي قال وهو يريد نقضها:

أتاني أن جَحش بني كُليبٍ تَعّرضَ حول دِجلةَ ثم هابا

فأولى أن يظل العبد يطفو بحيث ينازع الماءُ السحابا

أتاكَ البحرُ يضرب جانبيهِ أغرّ ترى لجِريتهِ حبابا

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص64.

([2]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص91

ثم كف الراعي ورأى ألا يجيبه، وتولى عنه الفرزدق ذلك، ولكن هذه المحالفة بين قيس والفرزدق فسدت بعد موت الراعي، وسبب ذلك ما قال الفرزدق في قيس عيلان حين قتل قتيبة فهجاه جندل بن راعي الإبل وذو الأهدام الجعفري فهجاهما الفرزدق وهجا جريراً معهما، ووقف جرير مع بني جعفر مناقضاً للفرزدق.[1]

فقد كان الراعي النميري من فحول شعراء العصر الأموي، وقد وضعه ابن سلام بجانب جرير والفرزدق بين شعراء الطبقة الأولى من الإسلاميين.[2]

إن الراعي كان سيداً في قومه وورث السيادة عن أبيه الذي كان يقال في الجاهلية الرئيس، وتنوعت الأغراض في شعره، فقد وصف وتغزل ومدح وافتخر، كما هجا وحرض على القتال وضرب الحكم والأمثال مع وجود لون جديد هو **(شكوى العمال)**، عمال الصدقات وإن كانت الشكوى إلى الحكام قد بدأت في شعر الفرزدق وجرير.

نشأ الراعي في البادية وعاش بين أحضانها، فشب فصيح اللسان ، واضح البيان، وبجانب هذا يرى تعاليم الإسلام ، وأساليب القرآن بادية في أشعاره: بالاقتباس حينا والتضمين حينا آخر من ثم جاء شعره جامعاً خصائص الأسلوبين الجاهلي والإسلامي.

حيث كانت ألفاظه قوية جزلة وأسلوبه رصيناً، حاكى به أسلوب الجاهليين، حتى أغرب في لفظه بالمألوف.

([1]) انظر: الشايب، أحمد، **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، مرجع سابق، ص 249، 250.

([2]) انظر: الجمحي ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، مصدر سابق، ج1، ص298، 299.

أما شعره الحضري فقد رقت عباراته، وازدانت بألفاظ القرآن التي تتصل بالدين والسياسة والمجتمع، حيث إن **(الراعي)** لم يدرك عصر التكلف والصنعة، فقد جاءت تراكيبه طبيعية تجانب المعاظلة والمعاناة.

ومن ميزات شعره أيضا الإيجاز مع إصابة المعنى، والبعد عن المحسنات البديعية، إلا ما صدر عن عفو الخاطر شأنه في ذلك شأن الفحول من الشعراء القدامى.[1]

ويمكننا القول في هذه الدراسة إن هؤلاء الشعراء من شعراء العصر الأموي عامة، وشعراء النقائض خاصة عاشوا ظروف عصرهم، فكان شعرهم انعكاساً لذلك الجو القبلي المشبع بالعصبية، فكانوا المتحدثين بلسان قبائلهم، والمدافعين عنها، للإعلاء من قدرها، وبالمقابل يطعنون ويحقرون من شأن القبيلة الخصم.

أبرز شعراء النقائض:

يعد جرير والفرزدق والأخطل أهم رموز النقائض، فهم الذين أذكوا نارها، وحددوا ميدانها، ومع ذلك ليست النقائض حكراً عليهم دون سواهم، ولكنهم خدموها أكثر مما خدمها غيرهم، وبما أن البحث يتناول صورة المهجو في شعر النقائض عند جرير والفرزدق والأخطل فسوف أذكر نبذة مختصرة عن كل واحد منهم إتماماً للفائدة.

1. الفرزدق:110هـ_ 728م:

هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق : شاعر من النبلاء، من أهل البصرة ، وله عظيم

([1]) انظر: النميري، الراعي، **عصره وحياته وشعره**، د. محمد نبيه حجاب، مكتبة النهضة، مصر القاهرة، 1963، ص84، 159، 160.

الأثر في اللغة، كان يقال له : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة أهل العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، يشبه بزهير بن أبي سلمى، وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من ذلك.

كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه، وكان أبوه من الأجواد الأشراف، وكذلك جده.

ولقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه، توفي في البصرة وقد قارب المئة، وأخباره كثيرة.[1]

2. جرير بن عطية:28هـ_110هـ:

هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر بن سلمة بن عوف الكلبي اليربوعي، ولدفي اليمامة سنة28هـ، ومات فيها سنة 110هـ،وهو من تميم ، وكان أشعر أهل عصره ، فقد عاش عمره يناضل شعراء زمنه ويساجلهم، وكان هجاءاً مراً، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل،وكان من أغزل الناس شعراً.[2]

وجرير من بني كليب بن يربوع، وكان له أخوان عمرو بن عطية، وأبو الورد بن عطية، وكان له عشرة من الولد فيهم ثمانية ذكور منهم بلال بن جرير وكان أفضلهم وأشعرهم، وكان جرير يكنى بأبي حزرة.[3]

([1]) انظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، المجلد الثامن، بيروت، لبنان، ط5، 1980 ، ص93.انظر، الجمحي، ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، مصدر سابق،ج1،ص298.انظر، ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (681,608هـ)، **وفيات الأعيان**، إعداد وداد القاضي وعز الدين أحمد موسى، بإشراف د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت، 1977م،ج1، ص327,321.

([2]) انظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص119.انظر، الجمحي، ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، مصدر سابق، ج1، ص297. انظر، ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان**، مصدر سابق، ج1، ص327,321.

([3]) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**،تحقيق، مفيد قميحة، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ، ص304.

3. الأخطل:19هـ_90هـ:

هو غياث بن غوث الصلت بن طارقة بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن تغلب الشاعر المشهور من الأراقم، ويكنى أبا مالك. [1]

والأخطل لقب غلب عليه، وجاء في طبقات فحول الشعراء لابن سلام:" وكان كعب سماه الأخطل، وذلك أنه سمعه ينشد هجاء فقال يا غلام، إنك لأخطل اللسان". [2]

وكان شاعراً مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشهر أهل عصرهم.

نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة (بالعراق)، واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره، وكان معجباً بأدبه، كثير العناية بشعره ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر مختارها، وكانت إقامته طوراً في دمشق مقر الخلافة من بني أمية، وحيناً في الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه.[3]

انعكست في الهجاء الإسلامي التيارات الدينية والسياسية والاجتماعية التي طرأت على العصر، كما أن الشعراء تواقعوا فيه بنوع من النقائض التي ستوفي إلى ذروتها في العصر الأموي بين شعراء المثلث الأموي.

لقد مثل شعر النقائض تهاجياً بين الشعراء غلبت عليه النزعة الالتزامية والترافع والمناقضة، بينما تتضاءل فيه صورة القنوط الوجداني، والضجر الداخلي المقيت من واقع الحال.

([1]) انظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، مصدر سابق، المجلد الخامس، ص123.

([2]) الجمحي، ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، مصدر سابق، ج1، ص462.

([3]) انظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، المجلد الخامس، مصدر سابق،ص123

لقد غدا المربد ملتقى الشعراء الذين يتهاجون ويتثالبون فيه خاصة بعد أن احتدم الهجاء بين المثلث الأموي، فكان هؤلاء يتنازعون بالكلام كما يُتنازع بالسيف، وقد شجع كل ذلك قادة الأمويين لأهدافهم السياسية.

وهكذا فلنمو الهجاء في العصر الأموي بواعث متصلة بطبيعة الحال السياسي، إذ كان أوّلو السلطة يُذكون الخلافات القبلية، مثيرين الحزازات العريقة بين القبائل ليتسنى لهم إخضاعها، أو الإفادة من مساندتها في الحروب، هذه العصبيات التي استثارها الأمويون، إذ كان المُلك يُقدم على الدين مما جعلهم يقربون التغلبيين على نصرانيتهم ويبعدون القيسيين على إسلامهم.

دأب بشر بن مروان على الإغراء بين الشعراء والإيقاع بينهم مستحثاً إياهم على النظم شاغلاً الرعية عن مراقبة أوّلي السلطة والفتنة عليها، فقد كان يجمع في بلاطه جرير والفرزدق، ويُنفذ برسوله إلى جرير بقصيدة للأخطل كي ينقضها، كما أنه أغرى بين الأخطل وجرير وسواهما، وهذه أحد خصائص الدهاء السياسي.

ومن المعروف أن الشعراء الهجَّائين كانوا في معظمهم يشركون بين الهجاء والمدح السياسي، فكأنهم إذ يهاجي بعضهم البعض الآخر، فنقائض المثلث الأموي قد تستهل بالمدح في خليفة أو أمير أو قائد، وتتدرج من ذلك إلى هجاء الخصوم والإقذاع ببعضهم.

وفضلاً عن هذه الدعوة المكتومة غير المباشرة، فقد كانت هناك دعوة صريحة، فالأخطل كان يوقِّع المعاني ويسوقها بما يُمكِّن للخلافة بالرغم من نصرانيته، وجرير كان يستظل بظل الحجاج، لينال أعطياته، ويقول قوله ويؤلب له .[1]

([1]) انظر: خفاجي، عبد المنعم، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية**، دار الكتاب اللبناني،ط1، 1980،ص151.

لقد اتخذ شعر المثلث الهجّائي الأموي سبيل النقائض يتلقفها الشعب و يُؤخذ بها، ويقبل على المربد بالبصرة،[1] ومهما يكن فإن شعر النقائض، هو شعر قوم مازالت تؤخذ نفوسهم بمعاني العار والكرامة والشهامة بالرغم من قيامهم بين أحضان الدولة الإسلامية، وكان وراء كل هذه المعاني في شعر النقائض لا بد أن تظهر بصورة المهجوّ، وتقديمه بما يثير اهتياج مجتمع الدولة الأموية، ويسلط الأضواء على صورة المهجوّ الخصم ويجعله على كل لسان على سبيل السخرية.

([1]) خفاجي، عبد المنعم، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية**، مصدر سابق، ص 47,46.

الفصل الثاني

صورة المهجوِّ عند أعلامها

جرير والفرزدق والأخطل

الفصل الثاني

صورة المهجوِّ عند جرير والفرزدق والأخطل

تمدنا النقائض بالصورة الشعرية، ونجد فيها الصياغة البارعة والأداء الشعري المميز، مما يوفر لنا مجال البحث في الصورة وأنواعها ومظاهر الإبداع فيها في رسم صورة المهجو في نقائض هؤلاء الشعراء الثلاثة(**جرير والفرزدق والأخطل**)، فشعرهم يفيض بمهارتهم بوصف المهجو، والنيل منه بافتنان عظيم فصورهم مرسومة بعناية ، تمنحها سمة الإبداع في تكاملية الصورة لتشكل لوحة متكاملة ، وصوراً طريفة لا تعسر على أي منهم في ابتداعها، تفصح عنها الأبيات الشعرية التي تصطف أمام القارئ، فتأتي متداعية كل صورة تأخذ برقاب الأخرى ، فترسم صورة يتميز بها كل شاعر لغة وتصويراً.

إن صورة المهجو في النقائض عند هؤلاء الشعراء مستمدة من مجموع القيم التي تغلف حياة الإنسان، كونها هي التي تصنع منظومة تكوين البشر، وتمنح الإنسان ذلك القدر في الحياة ، وهي التي تؤثر على شخصيته وتسمه بسمات يعرف بها قبحاً أو جمالاً، وهي مستمدة من الواقع وتكاد تكون هذه القيم في الأخلاق والدين وفي العادات الاجتماعية والسلوكية، وفي الطبائع والسجايا الإنسانية، وقد جالت موضوعات الشعر العربي في هذه القيم، وتجلت بأكثرها في غرضي الفخر والهجاء، وهما عماد النقائض.

إن فن الهجاء من أكثر الفنون الشعرية ارتباطاً بواقع الحياة، ومن أقربها على أن يضيف إلى التاريخ الإنساني، ويكمل ما فيه من الفجوات، من خلال نقده لأفراد والمجتمعات، وتصويره لجوانب الضعف فيها.

اصطلح الناس منذ القدم على أن الهجاء فن الشتم والسباب، وهو نقيض المدح بحسب قول **(قدامة بن جعفر)** ولكن سبقه الشاعر **أبو تمام 231هـ** صاحب الحماسة حينما صنف حماسته في عشرة أبواب وأفرد للهجاء باباً خاصاً به. [1]

ثم تبعه **(قدامة بن جعفر 310هـ)**الذي حدد الشعر في كتابه نقد الشعر، إذ قسم الشعر في ستة أقسام، وهي المدح،والهجاء،والنسيب، والمراثي، والوصف، والتشبيه،[2] وجاء بعد قدامة **(أبو هلال العسكري 395هـ)** إذ وضع كتابه ديوان المعاني وصنف فيه عيون الأرب من الشعر والنثر ، وجعل الباب الثالث في المعاتبات والهجاء والاعتذار. [3]

أما **(ابن رشيق 465هـ)** فقد أفرد للهجاء باباً من أبواب الشعر، وحدد في باب المدح خصال الإنسان المحمودة من الجود والشجاعة والحلم والحزم والعقل، وما يجري مع هذه الخصال التي تشرف الرجل وتحصنه، وإذا فقد الرجل هذه الخصال في واقعه فلابد أنه خسرها، وابتعد عنها وبفقدانها تكون منقصة له.[4]

ويرى **(أحمد الشايب) أنَّ** " الفخر والهجاء أهم فنون النقائض، فقد غلبا على القصائد أولاً، ثم وردا فيها مختلطين ثانياً،حيث تجد الأبيات المتجاورة جامعة بين الفنين دون فصل أو تنسيق بل نجد البيت الواحد يجمع بين الفنين "[5].

([1]) انظر: أبو تمام الطائي ، **ديوان الحماسة**، 231هـ، تح: د. عبد المنعم أحمد صالح، المكتبة الوطنية، بغداد، 1980، ص 451. ا

([2]) انظر، جعفر، بن قدامة، **نقد الشعر**، تح، كمال مصطفى، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1978، ص64، وما بعدها.

([3]) انظر: العسكري، أبو هلال ، **ديوان المعاني**، مكتبة القدسي، القاهرة، 1933، ص157،

([4]) انظر حسين محمد محمد، **الهجاء والهجاؤون في الجاهلية**، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1970، ص6

([5]) الشايب، أحمد، **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، مرجع سابق، ص422.

ولا تكاد أية نقيضة لا تتضمن هذا المضمون، فالشاعر الهجاء يفخر بنفسه وقومه بأحسن صورة وحال، بينما يصور المهجو وقومه بأبشع الصور وأحلكها، صاباً نقمته على المهجو بصورة مثيرة للضحك حيناً وللسخط حيناً آخر.

وإذا افتخر الشاعر في شعره، فلابد أن يفخر بما يؤهله لذلك، ويعلي من شأنه في المجتمع، وإذا ماهجا الشاعر، فلابد أن يمقت الناس طبعاً أو سجيةً في المهجو، فتحمل عليه.

ستقدم الدراسة أولى هذه القيم التي تظهر بجلاء ووضوح في شعر النقائض وهي :

أولاً: القيم الاجتماعية:

يعد الفخر أحد الطبائع الإنسانية، ومجالاته وكل القيم النبيلة في المجتمع. لقد برع الفرزدق في الفخر، وأمدّه في شرف عائلته وقبيلته، لذلك تخلل الفخر معظم شعره، ولكن فخره لم يقتصر على قومه فحسب، بل افتخر بنفسه وبشعره،وطريقته لا تختلف عن طريقة شعراء الفخر في الجاهلية، فهو يردد أسماء أجداده وآبائه متباهياً ويعدد أمجادهم .

فمن القيم التي تناولها الشاعر مادة للفخر كان الفخر القبلي، حيث افتخر الفرزدق بقبيلته الأم **(تميم)** إذ إن الفخر القبلي يحتل جزءاً كبيراً من شعر الفخر عنده يقول:[1]

تَمـيمٌ هُـمُ قـومي فـلاَ تعـدِ لـنَّهُم بِـحىّ إذا أعـتزَّ الأمـورَ كبيرُهـا

هُـمُ مَعقِـلُ العِـزِّ الَّـذي يُتَّقَـى بـه ضِـرَاسُ العِـدى والحـربُ تغلـي قُـدُورُها

مُلُـوكُ تَـسُوسُ المُـسلِمينَ وَغَيـرَهُم إذا أَنـكرت كَانـت شَـدِيداً نَكِيرُهـا

وَرِثنـا كتـابَ الله والكعبـةَ التَّـي بمكَّـةَ محجوبـاً عليهـا سُـتُورُها

وأفـضلُ مـن يَمـشي علـى الأرض حيَّنـاً ومـا ضَـمِنَت فـي الـذَّاهِبِينَ قُبُورُهـا

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 197.

يفخر الفرزدق بقبيلته تميم، وقومه من سادة الناس، ومنها الملوك والأمراء، وفيها الرجال الأقوياء الذين لهم القدرة على سياسة الناس، وهم ورثة كتاب الله وكعبته، ومن فخره بقبيلته دارم، يقول :[1]

إنَّ الَّـذي سـمَكَ الـسَّماءَ بنَـى لنـا بَيتـاً دعائِمُـهُ أَعَـزُّ وأَطـوَلُ

بيتـاً بَنَـاهُ لنـا المَليـكُ، ومـا بَنَـى حَكَـمُ الـسَّماءِ فإنَّـه لا يُنقَـلُ

بيتـاً زُرَارَةُ مُحتَـبٍ بِفنَائِـهِ وَمُجاشِـعٌ وَأَبَـو الفَـوَارِسِ نَهـشَلُ

حُلَـلُ المُلُـوكِ لباسُـنَا فـي أهلِنَـا والـسَّابغاتِ إلـى الـوَغَى نتـسربَلُ

أحلامُنَـا تَـزِنُ الجبَـالَ رَزَانَـةً وَتَخَالُنَـا جِنّـاً ،إذا مـا نَجهـلُ

وكذلك يفتخر الفرزدق بنسبه المنحدر من بني ضبّة، فهو يسطع ويعلو بنجم مجده، ويطفئ كل لهب دونه، فقد أخذ الفرزدق نسبه في هذا النسب الرفيع الأصل، الشريف الخالص ، إذ يقول مفتخراً بنسبه:[2]

أنـا ابـنُ ضَـبّةَ فَـرعٌ غيـرُ مُؤتَـشَبِ يعلـو شِـهابِي لـدى مُـستخمدِ اللَّهـبِ

سـعدُ بـن ضَـبَّةَ تنمينـي لرابِيَـةٍ تَعلـوُ الرَّوابـيَ فـي عِـزٍ وفـي حَـسَبِ

ويتحدى الفرزدق جريراً أن يأتي بنسب يعدل نسبه، وبرجال يساوون رجال قومه فنسب الفرزدق أجل وأعظم من نسب جرير، وفي هذا مذمة له وينفي عنه أن يكون له شرف النسب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وحينما يفتخر الفرزدق بقومه أو نفسه فإنما يقلب صورة مقابله إلى

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 489

([2]) **المصدر نفسه**، ص38

عكس ما هو أو قومه عليه، فينفي عن الآخر الشجاعة والإقدام وشرف النسب، وهي صورة المهجو الذي يجرده من أي مفخرة، يقول:[1]

أُولئِـــكَ آبـــائي فجئنـــي بِمِـــثلهم إذا جَمَعَتنـــا يـــا جَرِيـــرُ المَجـــامِعُ

أتعـــدلُ أحـــساباً لِئامـــاً أدِقَّـــةً بأحـــسابِنا ؟ إنـــي إلـــى الله رَاجِـــعُ

وبقدر ما يفتخر بدارم ومجاشع وضبة، نجده يفتخر بخندف وقيس عيلان وبقبيلة مضر التي ينتمي إليها الرسول (ص)، إذ يقول مفاخراً بخندف وقيس عيلان معاً، يقول:[2]

إذا خِنـــدفٌ بـــالأَبطَحينِ تَغَطرَفَـــت وَرَائـــي وَقَـــيسٌ ذَيَّلـــت بالمُـــشَرَّقِ

فَمَـــا أحـــدٌ إلاَّ يَرَانَـــا أمامـــهُ وَأَربابـــهُ مـــن فَوقِـــهِ حِـــينَ نَلتقِـــي

وَمَـــن يلـــقَ بَحرينـــا،إذا مـــا تَنَاطَحـــا بخنـــدِفَ أو قَـــيسِ بـــن عَـــيلاَنَ ، يَغـــرَقِ

هُمَـــا جَـــبَلاَ الله اللَّـــذانِ ذُرَهُمَـــا مـــع الـــنَّجمِ فـــي أعلـــى الـــسَّماءِ المُحَلِّـــقِ

فتحنـــا بـــإذنِ الله كُـــلَّ مدينـــةٍ مـــن الهِنـــدِ أو بـــابٍ فـــي الـــرُّوم مُغلَـــقِ

وكان يفتخر بماضي قومه في أيام العرب، حيث إن يوم صوأر من مفاخر أيام دارم ،لذلك ردده الفرزدق في نقائضه طوال حياته مفاخراً ومناقضاً يقول : [3]

وَقَـــد علِـــمَ الأقـــوَامُ حـــولِي وَحَـــولكُم بَنِـــي الكلـــبِ أَنِّـــي رأَسُ عِـــزّ وَكَاهِلُـــه

أَلَـم تعلمُـوا أَنَّـي ابـنُ صـاحِبِ صـوأَرٍ وَعنـــدِي حُـــسَاما سَـــيفِهِ وَحَمائِلُـــه

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 360، 362.

([2]) **المصدر نفسه**، 398، 399.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 506. الكاهل: أعلى الظهر مما يلي العنق.

أما جرير بن عطية فقد كان في أدنى مرتبة من الفرزدق، فهو من كليب بن يربوع منى تميم،وإن عطية والد جرير عاش عيشة فقر مدقعة أوصله إلى الدناءة والبخل الشديد. [1]

وجرير من قبيلة كليب، فقد ابتعد عن الفخر بها لفقرها ولرقة حالها، إذ لم يكن لها نصيب في الأمجاد السابقة، وكل ما عرف أنها ترعى الحمير والغنم ليس إلا، وهذا ما جعله يكثر من الفخر بتميم ويربوع، وإذا عز عليه رفعة النسب والجاه فإنه وصل إلى مرتبة رفيعة في الشعر وتفوق على خصومه، يقول جرير مفاخرا بقبيلته الأم تميم، وبكرمها وشجاعتها: [2]

تَبَاعــد مِــن مَــزارِي أَهــلُ نَجــدٍ إذا مَــرَّت بِــذي خُــشُبٍ ركــابي

غَريبــاً عَــن ديــارِ بَنــي تَّمــيمٍ وَمــا يُخــزِي عَــشِيرَتي اغتِرابــي

لَقَــد عَلِــمَ الفَــرزدَقُ أَنّ قَــومي يُعُــدونَ المَكــارِمَ للَّــسباب

يَحُــشُّونَ الُحُــروبَ بُمقرَبــاتٍ وَداؤُودِيَّــةٍ كَأَضــا الحَبــابِ

فبهذه الصورة الفخرية يؤكد جرير انتسابه إلى قبيلة تميم، ودفاعه عنها مهما ابتعد مكانيا،حيث نسب إلى قومه الصفات الحميدة كالكرم والشجاعة.

يحاول جرير أن يبعث في قومه صورة العظمة، ويخص بقبيلته يربوع، وتباهى بشرفها وبسالتها وعلو مكانتها في الجاهلية والإسلام، حيث يقول: [3]

أَنــاَ الذَّائــدُ الحَــامي إذَا مَــا تَخَمَّطَــت عَــرَانِينُ يَربُــوعٍ وَصَــالَت قُرُومُهــا

([1]) الحر، عبد المجيد، **جرير شاعر الجزالة والرقة والعذوبة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص 43.

([2]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 26، 27. أضا: الغدران.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 548، عرانين القوم: أشرافهم، القروم، الفحول.

وبقدر افتخاره بيربوع، فإنه يفتخر كذلك بخندف مضر وقيس وقريش،فيأخذ من مفاخرهم وأحسابهم وينسب نفسه وقبيلته إليهم، قائلا :[1]

فَذوُ العرشِ أَعطانا عَلَى الكُرهِ وَالرِّضا إمامِ الهُدَى ذا الحكمةَ المُتَخَيَّرا

وَإنَّ الَّذي أَعطى الخلافةَ أَهلَها بَنَى لِيَ فيِ قَيسٍ وَخندفَ مَفخَرا

فَأَضَحت رَواسيِ الُملك فيِ مُستَقَرِّها لُمنتجَبٍ مِن آلِ مروانَ أَزهَرا

أَنا ابنُ الثَّرى أَدعُو قُضَاعةَ ناصِرِى وَآلَ نِزارٍ ، ماَ أَعَزَّ وأَكثَرا

فإذا افتخر بنفسه وبقومه، وبأنهم أهل العدل والحكمة والخلافة والملك، ويستعرض نسبه وأجداده إنما هو نسبه كذلك، ويرى غيره في صورةٍ دونه مرتبة وانتساباً.

وقد وجد جرير في قيس عيلان حليفه مواقف عظيمة ووقائع خالدة، فافتخر بها وركز على تلك الحروب والوقائع التي دارت بينهم وبين تغلب، وخصوصا في مناقضته للأخطل،ففي هذه الأبيات التي ناقض بها الأخطل والفرزدق معاً جاء فخره شاملاً لتميم وقيس ويربوع وخندف، وصورهم بالمحاربين الأشداء لا يها بون المعركة، ودونهم الناس، وهو بذلك الفخر صورة عكسية لمن غير أهله، وضمناً هو يقدم صورة عكسية للمهجوين من قوم الفرزدق والأخطل كقوله : [2]

أَتذكُرُهُم وَحاجَتُكَ أدِّكَارُ وَقَلبُكَ فيِ الظَّعائن مُستَعارُ

أخاكُم يا تَميمُ وَمَن يُحامي وَأُمُّ الحَربِ مُجليَةٌ نَوار

تُخاطِرُ مِن وراءِ حِماىَ قَيساً وَخِندفُ عزَّ ما حُمِيَ الذِّمار

وَيَعلَمُ مَن يُحارِبُ أَنَّ قَيساً صَناديدٌ لَها اللُّجُ الغِمارُ

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص242.

([2]) **المصدر نفسه**، ص237، 238.

وفخر جرير بأخواله عندما فخر الفرزدق بأخواله فرد عليه جرير، وطالبه بأن يأتي بأخوال مثل أخواله، قائلا:[1]

مَـا الِّـسيدُ حـينَ نَـدَبتَ خالَـكَ مِـنهُم كَبَنـــيِ الأَشـــدِّ ولاَبنـــيِ النّـــزَّالِ

خَـالي الَّـذي اعتَـسَرَ الهُـذيلَ وَخَيلُـه فـــي ضِـــيقِ مُعتَـــرَكٍ لَهَـــا وَمَجـــالِ

جِئنـــيِ بِخَالِـــكَ يـــا فَـــرزدقُ وَاعلَمـــن أَن لَـــيسَ خالُـــك بَالِغـــا أَخـــوالِي

وترى الدراسة من خلال فخر جرير القبلي أنه أكثر من الفخر بتلك القبائل وأيامها وحروبها وفرسانها كتميم ويربوع ومضر وخندف وقريش وقيس، وابتعاده عن الفخر **(بكليب)** عشيرته الدنية، والتي لم يكن لها نصيب في الأمجاد السابقة ولا رصيد من البطولات الحربية والكرم والشجاعة، وجرير يريد من فخره هذا أن يتسامى إلى هذه المعاني الرفيعة التي تفتقر إليها كليب، فجرير لم يحظ بشرف النسب والجاه والثراء، ولاسيما خصمه في المجتمع والشعر الذي ناصبه الهجاء الدائم، فعده **(ابن سلام الجمحي)** من فحول شعراء العصر الأموي ومن أشدهم هجاءً،[2] وقد ذكره **(الأصمعي)** " أنه كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً فلم يتعرض له أحد من شعراء عصره إلا افتضح وسقط، ولم يلبث له إلا الأخطل والفرزدق، وقد خلت لهم ساعة الهجاء " [3] وفي ذلك يقول جرير : [4]

أَعـــددتُ للُّـــشعَراء كأســـاً مُـــرَّةً عِنـــدي مُخالِطُهـــا الـــسِّمامُ المُنقـــع

هَـــلَّا نَهـــاهُمُ تِـــسعةٌ قَتَّلـــتَهُم أَو أَربَعُـــونَ حَـــدَوتُهُم فأســـتَجمعوا

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 471، 472.

([2]) الجمحي، ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، مصدر سابق، ج1، ص379.

([3]) نقلا عن: خصخوصي، أحمد، **في سيرة جرير وشعره**، ط2، دار المعارف الاسلامية، 2007، ص167، 168.

([4]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 343، حدوتهم: سقتهم وهو من الحداء.

أما الأخطل فقد اتخذ من القبيلة ومن نفسه ومكانته الاجتماعية منطلقاً لفخره، ومرتكزاً لنقائضه مع جرير، وقد غلب الفخر القبلي على معظم فخره، وحبه الشديد والتحامه بقبيلته **(تغلب)** قد فرضا عليه أن يكون من رجالها ولسانها الناطق والمدافع عنها، فأخذ يشيد بقوة قومه ويعظم بطولاتهم ويذكر كرمهم وحمايتهم للجار، فتغلب لها واقع عريق الجذور، ولها أمجادها وأيامها المعروفة في الجاهلية، لذا فإن الأخطل في فخره القبلي يرتفع صوته بمفاخر قبيلته وبشرف انتمائه إليها، فهو من أرفع وأكرم بيت منها، إذ ينتمي إلى بني جشم، فيقول مفتخراً : [1]

وإنّـــي لمِـــنْ عَلْيـــاء تغْلِـــب وائـــل لأطْولهـــا بَيْتـــاً وأثْبتهـــا أصْـــلا

أنـا الجُـشَميُّ الرَّحْـبُ فـي الحـيّ مَنْـزِلاً إذا احتَـــلَّ مَـــضْهودٌ بمُـــضْنِيَةٍ هَـــزْلا

وعمّـــايَ نِعْـــمَ المـــرْءُ عَمْـــرٌو ومالـــكٌ وثَعْلبَـــةُ المُـــولى بمنْظـــورَةٍ فَـــضْلا

وقَـــدْ علمَـــتْ أفنـــاءُ تغْلِـــبَ أنّنـــي نُـــضارٌ ولـــمْ أنبُـــتْ بقَرْقَـــرَةٍ أثْـــلا

وإنّـــيَ يومـــاً لا مُـــضِيعٌ ذِمارَهـــا ولا مُفْلتـــي هـــاجٍ هجـــا تَغْلِبـــاً بُطْـــلا

ويقول مفاخراً ببكر وتغلب، مظهراً ما في نفسه من حب وولاء لهاتين القبيلتين، قائلاً : [2]

وإذا سَـــما للمَجْـــدِ فَرْعـــا وائِـــلٍ واســـتَجْمَعَ الـــوادي علَيْـــكَ فَـــسالا

ويفتخر الأخطل في معرض مديحه لبني أمية، إذ يقول هاجياً الأنصار، وبالمقابل يمتن في فخره على بني أمية، قائلاً:[3]

بنـــي أميّـــةَ قـــدْ ناضَـــلْتُ دونَكُـــمُ أبنـــاءَ قـــوْمٍ هُـــمُ آووا وهُـــمْ نَـــصَروا

حتـى استكانوا وهُم منّـي علـى مَـضَضٍ والقَـــوْلُ يَنْفُـــذُ مـــا لا تَنْفُـــذُ الإبَـــرُ

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 273،274

([2]) **المصدر نفسه**، ص254.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 122.

أفْحمتُ عنكُم بني النّجّارِ قدْ عَلمتْ عُلْيا مَعَدّ وكانوا طالما هَدَرُوا

ويفتخر بالأراقم ذلك الحي من تغلب الذي كان له مكان الصدارة فيها مصوراً شجاعتهم، وأنهم فلقوا جماجم العدو، حيث يقول: [1]

يُخْبِرْنَنا أنَّ الأراقِمَ فَلّقُوا جَماجِمَ قَيْسٍ بَيْنَ راذانَ فالحَضْرِ

روابٍ من بني جُشَمَ بنِ بَكْرٍ تَصَدَّعُ عَنْ مناكِبِها السُّيولُ

وكان يفتخر بماضي قومه في أيام العرب، حيث إن يوم الكلاب من مفاخر أيام تغلب، فقد افتخر بهذا اليوم على جرير وقومه وعيرهم أنهم لا يغارون على عرضهم وشرفهم، فهم يهربون من المعارك بدون نسائهم، قائلاً :[2]

يَوْمَ الكُلابِ وقَدْ سيقَتْ نساؤهُمُ سَوْقَ الجلائبِ مِنْ عُونٍ وأبكار

ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائد النقائض من الفخر، فهو عماد مهم من بيانها، والفرزدق يتميز عن الشعراء بصدقه في فخره، لأنه لا يفخر إلا بما هو موجود، فقد ورث الحسب والنسب والجاه والكرم والقوة والسيادة، وكان يفخر بذاته حتى امتد فخره إلى آبائه وأجداده وعشيرته الأقربين ،كأخواله وأخوال أبيه ومن له صلة قرابة به ، وكان ممن افتخر بنفسه، ومن ذلك ما نجده في قوله:[3]

أنا ابنُ العَاصِمينَ بَنِي تَمِيمٍ، إذا ما أَعظمُ الحَدَثَانِ نَابَا

نَمَانِي كلُّ أَصيَدَ دارِمِيّ أَغَرَّ تَرَى لِقُبّتِهِ حِجَابَا

مُلُوكٌ يَتبنُونَ تَوارثُوها سُرَادِقَهَا المقاوِلُ والقبابَا

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 116، 216.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 144. **عون** : النصف، متوسطة العمر.

([3]) الفرزدق **ديوانه**، مصدر سابق، ص 91. **العاصمين**: المانعين، **الحدثان**: الخضوب

مِـــنَ المُـــستأذنينَ تـــرَى مَعَـــدّاً خُـــشُوعاً خَاضِـــعِينَ لـــه الرِّقَابَـــا

وهذه لوحة من فخره، فالفرزدق يفخر بهذه الصورة بأنه ابن الذي يعصمون الناس يمنعونهم حينما تنزل بهم خطوب الدهر، كذلك يفتخر بأنه نمى في صيد كرام، لهم الخيام الحمراء العالية والتي ينبت للأسياد، وفي هذه اللوحة يصور أهله بالملوك، الذي تخضع لهم العرب ويحنون الرقاب أمامهم.

ويكثر الفرزدق في فخره بذكر أسماء آبائه وأجداده وفرسان قومه، ومن ذلك قوله: [1]

شُـــيوُخٌ مِـــنهُمُ عُـــدُسُ بـــنُ زَيـــدٍ وَسُـــــفيانُ الَّـــــذي وَرَدَ الكُلَابَـــــا

فالفرزدق يرجع إلى أصله لإثبات قيمة وقدر أهله ، فأصوله من عدس من بني دارم، وهو عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، وسفيان هو ابن مجاشع من بني دارم جد الفرزدق، ومن ذلك ذكر اسم جده صعصعة في أغلب فخره، حيث افتدى الموءودات، وشهر بذلك، إذ يقول : [2]

أبـــي أحـــدُ الغيثـــينِ صعـــصعةُ الَّـــذي متـــى تخلـــفِ الجـــوزاءُ والـــنجمُ يمطـــرِ

أَجَـــارَ بنـــاتِ الوائـــدينَ ومـــن يُجـــر علـــى الفقـــرِ يعلـــم أنَّـــهُ غيـــرُ مخفـــرِ

أما فخر جرير بذاته كان يفتخر بشاعريته، فكانت صفة من صفاته العظيمة والتي أكرمه الله بها، فسلطها على أعدائه كالسم القاتل،واستطاع من خلال شعره أن يهزم الشعراء جميعا،فصور لنا طعمه المر ليشعر بمدى الألم الذي يتلقاه الشعراء على يديه أثناء مناقضته لهم، فقد صور جميع الشعراء بلهاء يشربون السم دون اعتراض، وقد أتى على آخرهم، وجرعه السم الناقع، ولم يفتر عزيمته ولا شاعريته، وأكثر صورة هزلية رسمها في هجاء كل من الفرزدق والأخطل، فقد

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 91.

([2]) **المصدر نفسه**، ص329.

صور الفرزدق وقد أتى جرير عليه بميسمه لينفث فيه السم الناقع، وقد تمكن منه، أما صورة الأخطل فقد شوه جرير صورته الخَلقية، وجدع أنفه إمعاناً في إذلاله، وتحطيماً لمعنوياته، يقول :[1]

أَعـــددَتُ للـــشُّعراءِ سُـــمّاً نَاقِعـــاً فَـــسَقَيت آخَـــرُهم بكـــأسِ الأَولِ

لَمَّـا وَضَـعَت علـى الفَـرزدقِ مَيـسَمي وَضَـغا البعيـثُ جَـدَعتُ أَنـفَ الأخطـلِ

فقد تحدث جرير عن شاعريته الفذة التي تنتج قصائداً تدوي في الآفاق فيتناقلها الرواة، ويطرب بها السائرون، وقد صور شعره وهو ينطلق من أفواه الرواة بالسيف الهندواني عند خروجه من غمده. ويستمر في فخره بهذه القريحة المتوقدة،فيقول :[2]

أَعـــددتُ للـــشُّعراءِ كأســـاً مُـــرَّةً عِنـــدي مُخالِطهـــا الـــسَّمامُ المُنقَـــع

هـــلاَّ نهـــاهُمُ تِـــسعةٌ قَتَّلـــتهُم أَو أَربعُـــونَ حَـــدوَتُهمُ فاســـتَجمعوا

وقد صور نفسه في معرض فخره بشاعريته صورة عظيمة، حيث رأى أنها لا تصدق على شاعر سواه، يريد منها إظهار القوة والفخر بها، وبالمقابل تخويف الخصم، حيث يقول مصوراً نفسه بالبازي الذي ينقض على غيره من الطير: [3]

أنـــا البـــازِي المُـــدِلُّ عَلّـــى نُمَيـــرٍ أُتِحـــتُ مِـــنَ الـــسَّماء لَهـــا انـــصِبابا

إذا عَلِقَـــــت مَخالِبُـــــهُ بِقِـــــرنٍ أَصـــابَ القلـــبَ أو هَتَـــكَ الحِجابـــا

ويصور جرير نفسه في هذه الأبيات متعالياً على خصومه متباهياً بقوته، ومصوراً الفرزدق والبعيث في الضعف ،فلا يستطيعان الوقوف أمامه، فالبعيث واهن ضعيف، يتهاوى لما أصابه

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص443.

([2]) **المصدر نفسه**، ص343. **حدوتهم**: سقتهم وهو من الحداء.

([3]) **المصدر نفسه**، ص72.

جرير بميسمه، أما الفرزدق فقد أطاح به تحت حد السيف ، ولم يقويا على مجابهة جرير، فيقول مفتخراً ومصوراً نفسه بالصقر الذي ينقض على غيره من الشعراء: [1]

إنّـــي انـــصببتُ مـــن الـــسَّماءِ عَلـــيكُمُ حَتَّـــى اختَطَفتُـــكَ يـــا فَـــرزدقُ مـــن عَـــلِ

مِـــن بعـــدِ صِـــكَّتي البُعَيـــثَ كَأَنّـــهُ خَـــرَبٌ تَـــنَفَّج مـــن حـــذارِ الأَجـــدلِ

وَلَقَـــد وَسَـــمتُكَ يـــا بَعيـــثُ بِميـــسمي وَضَـــعا الفـــرزدَقُ تحـــتَ حـــدِّ الكَلكَـــلِ

ونلاحظ أن جريراً قد افتخر بنفسه وبشاعريته، وأضاف لنفسه من هذا الجانب صوراً عظيمةً تدل على قوة معانيه الشعرية وتهافت الشعراء أمامه، فيتباهى جرير على الأخطل بأجداده ومجدهم، فمجد قومه إذا عارضته الجبال يزلزلها، حيث يقول:[2]

لَـــو أنّ خِنـــدِفَ زاحَمَـــت أَركانُهـــا جَـــبَلاً أَصَـــمَّ مـــنَ الجِبـــالِ لـــزَالا

قَـــيسٌ وَخِنـــدفُ إن عَـــدَدتَ فَعـــالَهُم خَيـــرٌ وَأَكـــرَمُ مـــن أَبيـــكَ فِعـــالا

هَـــل تَملكـــونَ مـــن المـــشاعرِ مَـــشعَراً أَو تَنزِلـــونَ مـــنَ الأَراكِ ظِلالهـــا

هذه الصورة يدور محورها حول النسب وأصل الأجداد والآباء، فمازال يرفع من شأن جدوده، ويتعالى بأصولهم، ويمجد فعالهم، ويضع في الصورة المقابلة صورة والد الأخطل فيحط من طيب أصله ، ويقلل من شأن وجود قوم الأخطل اجتماعياً وحضوراً.

وإذ يفتخر الأخطل بذاته فقد فخر بشاعريته، حيث إن أشد الشعراء لا يستطيع أن يقف في وجهه، فهم يهربون خوفاً منه عندما يرونه، وفي هذا البيت يصور الشعراء عموما ولم يحدد منهم شاعراً بالاسم فجميعهم يختبئون حين النزال، والفحل منهم ذائع الصيت لا يقوى على مقارعته

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 444، **خرب:** ذكر الحباري، **الأجدل:** الصقر، **الكلكل:** الصدر.

([2]) **المصدر نفسه**، 451، 452.

والوقوف أمام شاعريته، لأنه يتفوق حتى على فحولهم، فهذه معركته وهم المنهزمون أمامه، يقول:[1]

إذا الـــشّعَراء أبْـــصَرَتْني تثَعْلبَـــتْ مقاحيمُهـــا وازْوَرَّ عنّـــي فُحولُهـــا

ويفتخر بنفسه بأنه رزين ثقيل، فهو ليس بالخفيف الذي يستخف لما يطرأ من الأمور العارضة، وهو لا يشكو ولا يتضجر عندما يصيبه الدهر بمصائبه، فهذه طبيعة الفخر، الإشادة بالنفس وبالأخلاق وبالمكارم، والتغني بالمنجزات، وتحقير غيره، قائلاً: [2]

ومـــا يَزْدهينـــي فـــي الأمـــورِ أخَفُّهـــا ومـــا أضْـــلعَتْني يـــوْمَ نـــابَ ثقيلُهـــا

ولكِـنْ جليـلُ الـرَّأي فـي كـلّ مَـوْطنٍ وأكْـــرَمُ أخـــلاقِ الرّجـــالِ جلِيلُهـــا

يتعالى الأخطل ويتباهى بأبيه وأجداده معليا من قيمتهم، بينما يمعن في تحقير شأن الآخرين ويصفهم باللئام، فإنهم أقل شأناً في المجتمع، وينفي عنهم الصفات الأخلاقية والسلوكية التي يجب أن يتمتع بها الإنسان المترفع عن الدنايا، فيقول معلياً من قيمة أبيه غوثاً:[3]

ألا جَعَـــلَ اللهُ الأخِـــلَّاءَ كُلَّهُـــمْ فِـداءً لغَـوْثٍ حيـثُ أمْـسوا وأصْـبحوا

فغَـوْثٌ فتـــى الغَلْبـــاء تَغْلِـبَ للنّـــدى إذا عَـــيَّ أقْـــوامٌ لئـــامٌ وقَرْدحـــوا

كان الأخطل يعف عن الثلب في ألفاظه، وهي مأثورة عنه حتى لا يقع القارئ لديوان الأخطل عن لفظة نابية جارحة، بخلاف خصمه جرير، وهو الذي نشأ وترعرع في بيئة وضيعة، إذ إنه كان يطرب للفحش، ولا يتورع أن يسمي الفحش بأسمائه، وبحسب رأي **(إيليا حاوي)**عن

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصر سابق،276. **مقاحيمها**: جذعانها، والجذعان جمع جذع وهو الشاب الفتى من الخيل.

([2]) **المصدر نفسه**، ص276

([3]) **المصدر نفسه**، ص60.

الأخطل يقول: " فالأخطل لا يتخلى عن وقاره في الهجاء، ولا عن تكنيته الفنية القائمة على استحضار المعاني في أطرها الخاصة بها، فهو لا يهجو بالحمق المباشر "[1].

ثانياً: القيم الأخلاقية:

وللعرب عادات وتقاليد عليها وهي عادات مقدسة عندهم ، فمن القيم الأخلاقية العربية التي عرفت بالفرزدق وأهله وقومه، وافتخر بها الشجاعة والقوة الشديدة، إذ يأتي بصورة جميلة يرسمها لقوته وبأسه في نقيضه الرائية، حيث يشبه نفسه بالأسد الأحمر الوجه، يتصدى للخصوم ولا يختبئ بين الأشجار، وعيناه تلمعان في الليل على فريسته، فتحسبه كالنار أثناء الظلمة، ويعتز بنفسه وقوته حتى أصبحت يداه مخضبتان بالدم، كأنما صبغتهما له عطاره، يقول في هذه الصورة الجميلة: [2]

وَردُ الســـرَّاةِ تَـــرَى سُـــوداً مَلاغِمُـــهُ مُجَـــاهِرُ القِـــرنِ لا يَكـــتَنُّ بـــالخَمَرِ

كَـــأَنَّ عينيـــهِ، والظَّلمـــاءُ مُـــسدِفةٌ علـــى فَرِيـــستهِ، نَـــارَانِ فـــي حَجَـــرِ

كَـــأَنَّ عَطَّـــارَةً باَتَـــت تَعُـــلُّ لَـــهُ بـــالزَّعفرَانِ ذِراعَـــي مُخـــدِرٍ هَـــصِرِ

ومن فخره بشجاعته وقوته، إذ يشبه نفسه بالأسد الذي يخيف الناس والفوارس، وأن يديه اصطبغتا بالدم، وهو الذي حمى الناس، ومنع سلبهم، حيث يقول:[3]

عَـــوَى فَأَثَـــارَ أَغلـــبَ ضَـــيغميّاً فَوَيـــلَ ابـــنِ المَرَاغَـــةِ مـــا اســـتَثَارا

مـــن اللاّئـــي يَظَـــلُّ الأَلـــفُ مِنـــهُ مُنِيخـــاً مـــن مَخَافَتِـــه نَهَـــارَا

تَظَـــلُّ المُخـــدِراتُ لـــه سُـــجُوداً حَمَـــى الطُّـــرَقَ المَقَانـــب والتِّجـــارَا

([1]) حاوي، ايليا، **فن الهجاء وتطوره عند العرب**، دار الثقافة، بيروت، (د.ت) ص 197.

([2]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 262.**ورد السراة:** أحمر الظهر، **الملاغم:** الأنف، **يكتن:** يستتر، **الخمر:** الشجر المظل والمخفي، **المسدافة:** الكثيفة الظلام.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 307.

كـــــأَنَّ بِـــــسَاعديهِ سَـــــوَادَ ورسٍ إذا هُـــوَ فـــوقَ أيـــدي القـــومِ سَـــارَا

ومن القيم الأخلاقية التي يفتخر بها الفرزدق الدفاع عن قبيلته وقومه ، فهو من يحميهم ويدافع عنهم أو من كان مثله، فهم لا يدفعوه للدفاع عنها، كما أنه لا يتخلف عن حمايتهم ما دام قادراً على السعي فهو لا يخشى غبار القتال والسباق، ولا يجبن عن التعرض لمن يواجهه، قائلاً:[1]

أَنَـــا الـــضَّامِنُ الرّاعـــي عَلَـــيهم وَأنّمـــا يُـــدافِعُ عَـــن أَحـــسَابِهِم أَنَـــا أو مِثلِـــي

فَمَهمَـــا أَعِـــش لا يُـــضمِنُوني وَلَا أَضَـــع لَهُـــم حَـــسَباً مـــا حَرَّكـــت قَـــدَمي نَعلِـــي

وَلَـــستُ إذا ثَـــارَ الغُبَـــارُ علـــى امـــرِئٍ غَـــدَاةَ الرِّهـــانِ ،بـــالبَطِيءِ وَلَا الوَغـــلِ

ويفخر الفرزدق أيضاً بالقيم الأخلاقية العربية المتمثلة بالكرم والشجاعة وإغاثة الملهوف وحماية الجار، وينسبها كلها إلى قبيلة تميم، وهو يفتخر بها وبشجاعة أبنائها ورعايتها لحق الجار، ولا يحق لأحد شرف الانتساب لها غيره، فقد بنى فخره على صورة لنسوة يُسقن كالأنعام وقت السبي في الحرب، ويقيم بمقابلها صورة مثالية لأبناء قبيلته فيجعلهم المدافعين والمغيثين لهؤلاء النسوة وغيرهن، وتتجلى صورة المهجو والحط من قيمة الأقوام الأخرى مقابل قيمة قوم الفرزدق تميم وينفي عنهم كرم الأخلاق ورفعة الانتساب إلى عراقة العرب، فكل الأقوام تتخاذل وتجبن أمام شجاعة وبسالة قومهم في الحروب، وإذا ما تولوا زمام قيادة المعارك، لا يستطيعون الذود عن المحارم والأرض، وسيعرضون الناس إلى المنية والفناء، فضلاً عن أنهم لا يستطيعون تأمين ما يطعمهم، أو يؤمنون مغانم لهم لفشلهم في إدارة دفة المعارك، يقول: [2]

لا قَـــومَ أكـــرَمُ مـــن تمـــيمٍ ، إذ غَـــدَت عُـــوذُ النِّـــساءِ يُـــسقنَ كالآجَـــالِ

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص488، **الوغل:** الضعيف الجبان، **الرهان:** السباق.

([2]) **المصدر نفسه**، ص495، **عوذ النساء:** اللواتي معهن أبناءهن، **الآجال:** الواحد **أجل:** وهي القطيع من البقر الوحشي، أو الظباء.

الـــضَّاربُونَ إذا الكتيبَـــةُ أحجَمَـــت والنَّـــازلونَ غـــدَاةَ كُـــلِّ نِـــزَالِ

والـــضَّامِنُونَ علـــى المَنيَّـــة جَـــارَهُم وَالمُطعِمُـــونَ غَـــداةَ كُـــلِّ شَـــمَالِ

ويستمر الفرزدق في فخره بقبيلته تميم التي حمت ودافعت عن الإسلام والمسلمين، ولولاها ولولا وقفتها في الدفاع عن أرض الإسلام،لكان الأعداء دخلوا إلى البلاد الإسلامية، وهنا يكلف الفرزدق نفسه وقومه بتصوير الأقوام الأخرى بالتقاعس عن حماية أرض الإسلام لجبنهم وقلة حيلتهم في الدفاع عن الدين الإسلامي، وكانوا سببا في ضياع الأرض الإسلامية، وهذه صورة من صور الجبن، وعدم الإدراك لقيمة الإسلام وضرورة حماية أراضيه، يقول:[1]

لَنَـا دونَ مـن تحـتَ الـسَّماءِ عَلـيهُمُ مـن النَّـاسِ طُـرَاً شَمَـسُها وَبُـدوُرُها

ولـــو أنَّ أرضَ المُـــسلمينَ يَحُوطُهـــا سِـوَانَا مـن الأحيـاءِ ضَـاعَت ثُغُورُهـا

أما جرير فقد افتخر بقوة قبيلته الأم **(تميم)** وشجاعة رجالها، ويصورهم بالجيش العظيم ذي الجلبة الذي يلتهم كل شيء وتعرفه العرب عامة ، فهم المدافعون عن القبيلة برباطهم على ثغورها ، وبالتالي يأمن من بداخلها ، فهم مستعدون دائما لأي هجوم مباغت عليها في أي وقت كان وهذه لوحة من فخره، يقابل فيها صورة من يهجوهم وينعتهم بعكس صورة قومه وحمايتهم، فالأقوام الأخرى تأمن على حياتهم وأرواحهم، مادامت تميم تحمي الثغور، وإذا ما ارتحل جند تميم لم تعد القبائل الأخرى تأمن على أرواح الأهل فتغادر خوفا وجبنا، وعدم مقدرتهم ليس على القتال، وإنما للدفاع عن الوجود وحماية الأعراض، يقول فيها : [2]

أَلـــسنا نحـــنُ قـــد عَلِمَـــت مَعَـــدٌ نمُـــدُّ مَقَـــادةَ اللَّجـــب اللُّهـــامِ

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص198، **الثغور**: الواحد ثغر: المكان الذي يخاف منه هجوم الأعداء.

([2]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص500، **اللجب اللهام**: الجيش العظيم ذو الجلبة الذي يلتهم كل شيء، **معد**: العرب عامة، **المقادة**: الأرسنة، **المصبح**: الذي فوجئ بغارة في الصباح، **السوام**: الماشية والإبل الراعية.

نقـــيم علـــى ثغـــور بنـــي تمـــيم ونـــصدع بيـــضة الملـــك الهمـــام

وَكُنـــــتمُ تـــــأَمنُون إذا أَقمنـــــا وإن نَظَعـــن فَمـــا لَـــكَ مِـــن مَقَـــامِ

وَنحـــــنُ الذّائِـــــدوَن إذا جَبُتـــــنمُ عـــن الـــسَبي المُـــصَبِّح والـــسَّوامِ

وكـذلك يفتخـر جريـر بقومـه مـصوراً شـجاعتهم وبأسـهم وبطـولاتهم، فبـشجاعتهم يمنعـون الأعداء من تحقيق النصر وإحراز التقدم، وعند ارتفاع القتال تلهج الناس بأسمائهم، فهم المدافعون عـن الـديار ومغيثـو الملهـوف، فهـم الأحـرار الفـاتكون بتيجـان الملـوك، ولهـم القـدرة علـى الإيـذاء والسلب، يقول: [1]

وأَمنـــعُ جيرانـــاً، وأَحمَـــدُ فـــي القِـــرىَ إذا اغبَـرَّ فـــي المحَـلِ الُنجُـومُ الطَّوالـــعِ

وســـامٍ بـــدهمٍ غَيـــر مُنـــتقِضِ القُـــوَى رَئـــيسٍ سَـــلَبنا بَـــزَّهُ ، وَهـــوَ دارِع

ندســـنا أَبـــاَ مَندُوســـةَ القَـــينَ بالقَنـــا وَمَـــار دم مِـــن جـــارِ بَيبـــةَ نَـــاقِع

وخلال فخره بيربوع ، افتخر بفرسان لمعوا فيها، قائلاً : [2]

ليربـــــوعٍ فَـــــوارِسُ كُـــــلَّ يَـــــومٍ يُـــــوارِى شَمَـــــسَهُ رَهَـــــجُ الغُبـــــارِ

عُتيبـــــةُ والأَحَيمَـــــرُ وابـــــنُ سَـــــعد وَعَتَّـــــابٌ وَفَـــــارسُ ذي الخَمـــــارِ

أما الأخطل فقد افتخر بشجاعة قبيلته تغلب، وتفوقها على أعدائها، فهي في نظره قوية لا أحد يجاريها، ولا يستطيع أحد أن يتمكن منها، فهي التي تتمكن من الأعداء ومنازلتهم وتتركهم صرعى، حيث يقول مفتخراً: [3]

نَـــصَبْنا لَكُـــمْ رأســـاً فلَـــمْ تَكْلِمـــوا بـــهِ ونَحْـــنُ ضـــرَبْنا رأسَـــكُمْ فتـــصَدَّعا

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص372، **دهم**:جيش كثير العدد، **بزه**: سلاحه، **ندسنا**:طعنا، **أبامندوسة**: مرة بن سفيان، **بيبة**:الصمة الجشمي.

([2]) **المصدر نفسه**، ص191.

([3]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ص197.**تأله العين**: أي تتحير، **الطرامة**: السحابة.

ونحـنُ قـسَمْنا الأرضَ نـصْفين نـصْفُها لَنَـــا و نُرامـــي أنْ تكـــونَ لَنَـــا مَعـــا

بِتـــسعين أَلْفـــاً تأَلَـــهُ العَـــينُ وسْـــطَهُ متـــى تَـــرَهُ عَيْنَـــا الطُّرامَـــةِ تـــدْمعا

إذا مـــا أكلنـــا الأرْضَ رَعيْـــاً تطلّعَـــتْ بِنـــا الخَيْـــلُ حتـــى نَـــسْتَبيحَ المُمَنَّعـــا

ويستمر الأخطل بفخره بأن قومه يقتحمون على الجبابرة، وهم في بيوتهم بجيوشهم الكثيفة اللابسة للدروع والخوذ، فلا أحد يستطيع أن ينال منهم لعلو شأنهم وشجاعتهم، والأخطل يمازج بين الهجاء والفخر، يقول:[1]

وكنّـــا إذا الجبّـــارُ أغْلَـــقَ بابَـــهُ نَـــسيرُ ونَكْـــسو الـــدّارعينَ القَوانِـــسا

فمَـــنْ يأتِنـــا أوْ يَعْتـــرِضْ لطَرِيقنـــا يَجِـــدْ أثَـــراً بقّـــاَ وعِـــزّاً خُنابِـــسا

كما يفخر أيضا بقوة قومه وصلابتهم وشدة صمودهم أمام الأعداء، فالتغلبيون مهما ألم بهم من أحداث فإنهم لا يلينون لها، فقد يلين الصخر الأصم من دونهم، ومهما اجتمع عليهم الأعداء فإنهم سيرتدون خائبين، حيث يقول: [2]

إذا لان الـــصَّفا عَـــنْ طـــولِ نَحْـــتٍ فـــإنَّ صَـــفاةَ تَغْلـــبَ لا تَلـــينُ

إذا قُـــذِفَتْ نبـــا الجُلْمـــودُ عَنْهـــا وأطّـــتْ صـــخْرَةٌ فِيهـــا زُبـــونُ

فقَبْلَـــكَ رامَهـــا الجبّـــارُ فِينـــا فكـــانَ لَنـــا وللجبّـــارِ ديـــنُ

وكذلك يفخر بقبيلته ورجالها ويتغنى بأمجادها، ويعدد أسماء رجالها، ويهجو من يتعرض لها، وبالمقابل يذكر قوتها وبأسها، إذ يقول:[3]

([1])الأخطل، **ديوانـه**، مصدر سابق، ص188.**البـق:** الواسـع الضخم، **الخنـابس:** الضخم الشديد، **الـوانس:** أعلى بيضة الحديد.

([2]) **المصدر نفسه**، ص329.

([3]) **المصدر نفسه**، ص252،253.

أبَنـــي كُلَيْـــبٍ إنَّ عمّـــيَّ اللّـــذا قـــتَلَا المُلـــوكَ وفَكّكـــا الأغْـــلالا

وأخوهُمـــا الـــسّفّاحُ ظمّـــأ خَيْلَـــهُ حتـــى ورَدْنَ جِيبـــى الكُـــلابِ نِهـــالا

ولقـــدْ ســـما لكُـــمُ الهُـــذَيلُ فنـــالكُمْ بـــإرابَ حَيْـــثُ يُقَـــسَّمُ الأنفـــالا

فـــي فَيْلَـــقٍ يـــدعو الأراقـــمَ لـــمْ تكُـــنْ فُرْســـــانُهُ عُـــــزْلاً ولا أكْفـــــالا

فالعربي يفتخر بكل ما هو عظيم الشأن ونفيس، يقول **(أبـو هـلال العـسكري)** في باب الهجاء: "وأبلغ الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل وما يجري مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة، وما في معنى ذلك بليغا مرضيا" [1] والعربي شديد الافتخار بالفروسية، فخيل قوم الأخطل لها نصيب كبير من فخره،وقد برزت شجاعتهم وإقدامهم من خلال حضور خيلهم بشيء من التهويل والتفضيل، وقد ضمرت وهزلت من الطراد، فيقول: [2]

ومُمَـــرَّةٍ أثَـــرُ الـــسّلاحِ بنَحْرِهـــا فكـــأنَّ فـــوْقَ لَبانِهـــا جِرْيـــالا

قُـبِّ البُطـونِ قـدِ انْطـوَينَ مِـن الـسُّرى وِطـــــرادِهِنَّ إذْ لقـــــينَ قِتـــــالا

مُلْـــحَ المُتـــونِ كأنّمـــا ألْبَـــسَتْهَا بالمـــاء إذْ يَـــبِسَ النّـــضِيحُ جِـــلالا

ولقَـــلَّ مـــا يُـــصْبحْنَ إلَّا شُـــزَّباً يـــرْكَبْنَ مِـــن عَـــرَضِ الحـــوادثِ حـــالا

ففي هذه الأبيات يفخر الأخطل بشجاعة هذا الخيل وإقدامها، فهي لكثرة ارتيادها ميادين القتال، أصبحت مضرجة نحورها بالدماء، وكأنها صبغت باللون الأحمر، وهي ضامرة قد أصابها الهزال لكثرة سيرها، ولكنها بالمقابل متمرسة بالجوع الشديد، لأنها في قتال مستمر مع الأعداء.

([1]) العسكري، أبو هلال، **ديوان المعاني**، ج1، ص 202.

([2]) الأخطل، **ديوانـه**، مصدر سابق، ص252. **ممرة** : متمهلة، **اللبان** : الصدر، **الجـ**ريال: الصباغ الأحمر، **قب**: جمع أقب،ضامر، **شزب**:الضامر، **النضيح** : العرق إذا يبس.

ويستطرد الأخطل في وصف خيل قومه، فهي التي تعكس شجاعتهم وشدة بطشهم وقدرتهم على القتال، فهي التي قادتهم إلى النصر فقتلوا أعدائهم وسبوا نساءهم، حيث يقول مصوراً هذه الخيل:[1]

وأوْلادُ الـــــــصَّريحِ مُـــــــسَوَّماتٌ عليْهـــا الأُسْـــدُ غُـــضْفاً والنِّمـــارُ

شـــوازِبُ كالقَنـــا، قـــدْ كـــانَ فيهـــا مِـــنَ الغـــاراتِ والغَـــزْوِ اقْـــوِرارُ

ذوابِـــلُ كـــلِّ سَـــلْهَبَةٍ خنَـــوفٍ وأجْـــرَدَ مـــا يُثَبَطُـــهُ الخبَـــارُ

فـــأتْرَزَ لحْمَـــهُ التَّعْـــداءُ حتـــى بـــدَتْ مِنْـــهُ الجَنـــاجِنُ والفَقـــارُ

وقَـــدْ قَلِقَـــتْ قلائـــدُ كـــلّ غَـــوْجٍ يُطِفـــنَ بـــهِ كمـــا قَلِـــقَ الـــسِّوارُ

تَـــراهُ كأنّـــهُ سِـــرْحانُ طَـــلٍّ زَهـــاهُ يَـــوْمَ رائحـــةٍ قِطـــارُ

وهذه لوحة في فخره، فقد صور هذه الخيل،صورة من الشجاعة في الحرب، وقد تسامت وتعاظمت بطولاتها والتي تشبه بدورها المعاناة الإنسانية فهي دائماً متشجعة للقتال، وتخوضه بكل قوة وشراسة، وقد أتعبها الكر والفر حتى هلكت وذاب لحمها وبرزت أضلاعها، وعلى الرغم من هذه الصورة التي رسمها لها في الضعف والهزل، إلا أنها لا تزال كالأسود تنقض على الأعداء. وفي كل ما تقدم يعمل الأخطل على تقديم المخازي، ويجمعها في صورة المهجو جرير، فينيطها به وبكل ما يتصل به من أهله، أكان في شرابه أم في طعامه الخبيث أم في مسكنه الزري الذي يقيم فيه ولا يخالط أحدا من الناس ، فخصمه لا يحضر أندية الرأي، ولباسه، فهو لا يعدو العباءة الحبقية، ومهنته رعي الماشية، ولا يغفل الأخطل عن أبيه وأمه، فوالده تقتصر همومه على حراسة الأغنام، فيما يقوم أهل الأخطل إلى القتال على متون الخيل، ويصور والدة المهجو ونساء قبيلته

([1]) الأخطل، **ديوانـه**، مصدر سابق، ص149، 150.**الـصريح** فحل كريم الأصل، **الـسومة**:المعلمة، **الغضف**: استرخاء الجفن، **ذوابل**:ضامرات، **التعداء**،السير السريع، **الجنـاجن**: عظام الصدر، **الغوج**: الخيول الكريمة، **السرحان**: الذئب.

بالفاحشات، كما أن أولادهن لا يعفون عن امتهانهن في الخدمة، فوالدة جرير قد بلغت من البخل وضآلة القدر أنها تضن ببولها، ويصور قوم جرير بأبشع الصور، وبأنهم لا يقاتلون، وفاقدون للنخوة والحمية، يطفئون النار عندما تستنبح الضيفان كلابهم.

في الصورة المقابلة يرسم الأخطل صورة مضادة معاكسة، صورة البطولة لقومه، مفتخراً بأجداده وأيامهم وبيوتهم العامرة وخيلهم، ويشير **(إيليا حاوي)** إلى أسلوب الأخطل في الهجاء ورسم صورة المهجو بقوله: " إن أسلوبه العام في الهجاء هو الأسلوب النفسي الذي يقوم على تحليل واقع المهجو، والتفطن إلى مواضع العاهة، والنقص في سيرته يعزلها، ويغالي بها، ويشببها ويتكأ عليها"[1].

ومن القيم الأخلاقية العربية التي عرفت بالفرزدق وقومه، وافتخر بها، الكرم، فهو فضيلة جبل عليها رجال قبيلته، إذ يصور لنا هذه السجية الحميدة، فيأتي بصورة جميلة يرسمها لكرمه وكرم قومه في نقيضته الفائية، إذ يصور الريح الشديدة، والصقيع الذي يشبه القطن، فالجميع يفتش عن الدفء حتى أن فحل الإبل يسبق صغارها مفتشاً عن الدفء، والإنسان يفعل ذلك، والسماء ممسكة، والريح باردة، وفقد اللبن في هذه الظروف، فها هو الفرزدق يصور لنا قومه بما يمتلكون من صفات البسالة والشهامة والنبل والسيادة والكرم وحسن الضيافة، حيث يصور لنا النوق التي، ويقدمونها أمام ضيفانهم عن طبع دون تكلف، ويقول مفتخراً: [2]

إذا اغبـــرَّ آفـــاقُ الـــسَّماءِ وَكَـــشَّفَت كُـــسُورَ بُيُـــوتِ الحَـــيِّ حَمـــرَاءُ حَرجَـــفُ

([1]) حاوي، إيليا، **فن الهجاء وتطوره عند العرب**، مرجع سابق، ص 225.

([2]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 387، 388، **اغبر**: المحل، **حرجف**: ريح شديدة، **تامك**: أسنام عظيمة، **النيّ**: الاحساس بالبرد، **قريع**: فحل، **الشوال**: الابل التي نقصت البانها ، **افالها** : صغارها، يزف يعدو، **زخف**: يفر من شدة البرد، **لبانه**: موضع الفرس ، **يتحرف** : يفارق، **الشعرى**: كوكب يطلع في الشتاء أول الليل، **محول**: لا ينم فيه، **يتوسف** : يتقشر، سروات: أسنمة الأبل، **النيب**، الناقة السمينة ، **مندف**: أبيض يشبه السقيع، **الصلا**: الاصطلاء على النار، **متكنف**: مجتمع عليه، **زفرف**: شديدة ، **حياض جبى**: حياض يجتمع به الماء ، **شيزة**: الخشب الأسود، **تغرف**: نزيدها كلما نقصت.

وَهَتَّكــــتِ الأطنَـــابَ كُـــلٌّ عَظيمـــةٍ لَهَـا تَامِـكٌ مـن صـادِقِ النِّـيّ أَعـرفُ

وَجَـــاءَ قَرِيـــعُ الـــشَّولِ قبـــلَ إفَالِهَـــا يَـــزِفُّ وَرَاحَـــت خلفَـــهُ وهـــي زُفُّـــفُ

وَبَاشَـــرَ رَاعِيهَـــا الـــصِّلا بِلَبَانِـــهِ وَكَفَّيـــه حـــرَّ النَّـــارِ مـــا يَتَحـــرَّفُ

وأَوقَـدَتِ الـشِّعرى مـعَ اللَّيـلِ نَارَهـا وَأَمَـــست مُحَـــولاً جِلـــدُها يَتَوَسَّـــفُ

وأَصَـــبَحَ مَوضُـــوعُ الـــصَّقِيعِ كَأَنَّـــه عَلَـــى سَـــرَوَاتِ النِّيـــبِ قُطـــنُ مُنـــدَّفُ

وَقَاتَـل كَلـبُ الحـيِّ عـن نـارِ أهلِـهِ لِيـــــربضَ فيهـــــا والـــــصِّلامُتَكَنِّفُ

وجـدتَ الثَّـرَى فينـا إذا يَـبِسَ الثَّـرَى وَمَـن هُـوَ يَرجُـو فَـضلهُ المتـضَيَّفُ

تـــرَى جَارَنَـــا فينَـــا يُجيـــرُ وإن جَنَـــى فَلَاهـــوَ ممَّـــا يُنطـــفُ الجـــارَ يُنطـــفُ

ويمنـــــعُ مولَانَـــــا وإن كـــــان نائيـــــاً بنـــــا جَـــــارَهُ مِمَّـــــا يَخَـــــافُ وَيَـــــأنَفُ

وَقَـــد عَلِـــمَ الجيـــرَانُ أَنَّ قُـــدُورَنَا ضَـــوَامِنُ لـــلأرزاقِ والـــرِّيحُ زَفـــرَفُ

نُعَجِّـلُ للـضِّيفانِ فـي المحـلِ بـالقِرَى قُـــدُوراً بمعبُـــوطٍ تُمـــدُّ وَتغـــرفُ

تُفـــرَّغ فـــي شـــيزَى كَـــأَنَّ جفَانَهـــا حيـــاضُ جبَّـــى منهـــا مـــلاءٌ وَنُـــصَّفُ

فالفرزدق قد ورث المجد عن أهله وقومه، الذين كانوا يغيثون المظلوم ويكرمون الضيف، إذ يقول مفتخراً : [1]

وإنَّ مُجاشِـــــعاً قـــــد حَمَّلَتنـــــي أُمـــــوراً لـــــن أُضَـــــيِّعها كبـــــاراً

قِـــرَى الأضـــيافِ لَيلَـــةَ كـــلِّ ريـــحٍ وقـــدماً كُنـــتُ للأضـــيافِ جـــارَا

فالفرزدق قد ورث هذه القيم عن آبائه وأجداده وهو على مثل طريقتهم، ويفتخر بذلك إلى أن وصل بالقول إلى أبيه غالب، إذ يقول: هل وجدتم قبل غالب من يقري مائة من الإبل، ويمنحها وهو صامت ولم يتكلم، وهذا دليل الكرم وهو من صفات العرب الجميلة، فوالده تستغيث به الأقوام ولو كان ميتاً: [2]

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 307.

([2]) **المصدر نفسه**، 529.

ألا هــل عَلمــتُم مَيَّتــاً قبــلَ غالِــبٍ قَــرَى مِئَــةٍ ضَــيفاً ولــم يَــتَكَلَّمِ

أَبِــي صــاحِبُ القبــرِ الــذي مــن يَعذُبــه يجــرهُ مــن العُــزمِ الَّــذي جــرَّ والــدَّمِ

فقد تأثر الفرزدق بوالده واستلم منه فضائل الخلق ، ونبل الصفات، إذ يقول :[1]

ورثــتَ إلــى أخلاقِــهِ عاجِــلَ القِــرَى وَضَــربَ عراقِيــبِ المتــالي شَــبُوبُها

يختال الفرزدق بهذه السجية الطيبة صفة من صفات أبيه حتى بعد مماته، وأنه سيظل وفياً لها وفي ذلك قوله: [2]

إذا خَمَــدَت نــارٌ فــأنَّ أبــنَ غالِــبٍ سَــــتُوقدُهَا للطَّــــارِقينَ خَلَائِقُــــه

أنــا المُطعِــمُ المَقــرُور فــي ليلــةِ الــصَّبا وأجهــلُ مــن يَخــشَى الجَهــولَ بِوَائِقُــه

فالفرزدق في نظر نفسه كريم لا يجارى، فقد ضحى في سبيل كرمه بناقته في وقت الشدة، ويعلق رحلها على غيرها، ويسير ماشياً، إذ يقول مفتخراً بكرمه: [3]

ولــو سَــألَت عَنِّــي سُــويدَةُ أُنبِئَــت إذا كــانَ زادُ القــومِ عقــرَ الرَّكايِــبِ

بــضَربي بــسيفِي ســاقَ كُــلِّ سَــمينةٍ وتعليــقِ رحلــي ماشــياً غيــرَ راكِــبِ

ومن الصور التي يرسمها الفرزدق مبيناً إغراقه في الكرم وحبه للضيف، وسرعة القرى، فيقول مفتخراً:[4]

وَمُــستنبِحٍ واللَّيــلُ بينِــي وَبَينَــهُ يُراعِــي بِعينــهِ النُّجُــوم التَّوَاليــا

سَــرَى إذتَغــشّى الليــل تَحمِــلُ صَــوتَهُ إلــيَّ الــصَّبَا، قــد ظَــلَّ بــالأمسِ طاوِيَــا

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص59.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 408، **الصبا**: الريح الشمالية، **البوائق**: الواحدة بائقة الداهية.

([3]) **المصدر نفسه**، ص28، 29، العقر: النحر، **الركايب**: ما يركب من الإبل، **السمينة**: الناقة السمينة،

([4]) **المصدر نفسه**، ص 650، 651، تخلج: تحرك، **هور**: أسقط، السماك: نجم، **يسجي المطية**: يسوقها، **البرك**: الإبل السمينة، **المربعات**، النياق تنتج في الربيع، **المثالي**: التي يتلوها أولادها، **المعسنات**: الإبل السمينة، **الثناء**: التي ألقت اسنانها، **المخاض**: التي أوشكت أن تلد، **الجذاع**: الإبل الصغيرة، **رماحها**: من رمحت الدابة اذا رفست برجلها، **الغشاش**: أول الظلام وآخره

حَلفَــتُ لَهُــم إن لــم تُجبــهُ كِلابنَــا لأســتوقِدَن نــاراً تُجِيــبُ المُنادِيَــا

وَقلــتُ لعبــديَّ: اســعراها، فإنَّــهُ كَفَــى بــسنَاهَا لابــنِ إنــسكَ دَاعيــاً

فَمَــا خَمَــدت حَتَّــى أضــاءَ وقودُهــا أَخَــا قفــرةٍ يُزجــي المطيَّــةَ حَافِيَــا

فَقمــتُ إلــى البــركِ الهُجُــودِ،ولم يكــن سِــلاحِي يُــوقِّي المربعــاتِ المَتَالِيَــا

فخــضتُ إلــى الأثنــاءِ منهــا وقــد تَــرَى ذَوَاتِ البَقَايَــا المعــسناتِ مَكانِيَــا

وَمَــا ذَاكَ إلاَّ أنَّنــي اختــرتُ للقِــرَى ثَنَــاءَ المِخَــاضَ والجــذَاعَ الأوَابيــا

فَمَكَّنــتُ ســيفِي مــن ذَوَاتِ رماحِهَــا غِــشاشاً، ولــم أحفِــل بُكَــاءَ رِعائِيَــا

شكلت هذه الأبيات صورة جميلة للشاعر وهو يتأهب لاستقبال ذلك الضيف الطارئ، وما يترتب على هذا الاستقبال من حفاوة بالغة، وهي صورة جميلة تحكي لنا الكرم العربي الأصيل وسرعة القرى للضيف،وهذه القصيدة تمثل كرم الفرزدق وقت الشباب، وهو يرى في نفسه العظمة والسيادة، فهذه القصيدة تحكي سجايا محببة بعيداً عن التباهي بالنسب والقبيلة، هذه السجايا هي إكرام الضيف، والبشاشة في وجهه.

ومادام المدح ضد الهجاء فينبغي إذا كان يعتمد على نقض الفضائل السلوكية والأخلاقية، فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى، وهذا ما جاء في رأي **(قدامة بن جعفر)** بقوله" ثم ينظر أقسام المديح وأسبابه فيجري أمر الهجاء بحسبها في المراتب والدرجات والأقسام، ويلزمه ضد المعنى الذي يدل عليه، إذ المديح ضد الهجاء" [1].

أما الأخطل فيأتي بصورة جميلة، يصور فيها افتخاره بكرم قومه، ويصف فيها تلك الإبل التي قدموها للضيفان، فهذه الإبل المثقلة بلحمها وهي في مباركها لها ثلاث خصائص، تكمن في احتباسها في مرابطها فهي لا تتعداها تحسباً لأي طارئ، وهي من أبكار الإبل، حيث إنها أبت أن

([1]) ابن جعفر، قدامة، **نقد الشعر**، ص 100.

تلقح في الفحل وعقر الإبل للضيوف خاصية لا توجد إلا عند العرب، وهذا يدل على الكرم الأصيل، وقد أعدتها تغلب لكي تفتدي بها الأرواح، وتؤدي بها الديات، حيث يقول مفتخراً:[1]

ومحبوسةٍ في الحيّ ضامنَةِ القِرى إذا اللّيلُ وافاها بأشْعثَ ساغِبِ

مُعَفَّرَةٍ لا تُنْكِرُ السّيْفَ وَسْطَها إذا لمْ يكُنْ فيها مَعَسّ الحالبِ

مرازيحُ في المأوى إذا هَبّتِ الصَّبا تُطيفُ أوابيها بأَكْلَفَ ثالِبِ

إذا استَقْبلَتْها الرّيحُ لم تَنْفَتِلْ لها وإنْ أصْبحتْ شُهبُ الذُّرى والغوارِبِ

إذا ما الدَّمُ المُهْرَاقُ أضْلَعَ حَمْلُهُ ونابَ رهنّاها بأغْلى النّوائبِ

إذا ما بَدا بالغَيْبِ مِنْها عِصابَةٌ أوَيْنَ لهُ مشْيَ النّساء اللّواغِبِ

يَطُفْنَ بزَيّافٍ كأَنَّ هديرَهُ إذا جاوَزَ الحيزومَ تَرْجيعُ قاصِبِ

تَرُدُّ على الظِّمْءِ الطّويلِ نِطافَها إذا شوَتِ الجوْزاءُ وُرْقَ الجنادِبِ

كأنَّ لَهاها في بلاعيمِ جِنّةٍ وأشداقَها السُّفْلى مَغارُ الثّعالبِ

إذا لمْ يكُنْ إلَّا القَتادُ تجزَّعَتْ مَناجِلُها أصْلَ القَتادِ المُكالِبِ

تُحطّمُهُ تَحْتَ الجليدِ فؤوسُها إذا قَنّعَ المشْتى أكُفَّ الحواطبِ

كأنَّ علَيْها القَصْطلانيَّ مُخْمَلاً إذا ما اتَّقَتْ شَفّانَهُ بالمناكِبِ

ويأتي بصورة أخرى، حيث يقرن بها بين الكرم والشجاعة، وبأن قومه يفضلون الضيف على الأهل والولد، ومع ذلك فالشجاعة من صفاتهم،فهم يفتكون بالأبطال، إذ يقول: [2]

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدرسابق، ص 49،50. **أشعث ساغب**: الجائع، **المرازيح**: التي لا تبرح مبركها، **الأوابي**: الناقة التي لم تلقح، **اللها**: اللحمة المشرفة على الحلق، **مناجلها**: أنيابها، **القصطلاني**: زيأندلسي، **الشفان**: الريح الباردة ذات الندى

([2]) **المصدر نفسه**، ص 251.**العشار**: الناقة التي مر على حملها عشرة أشهر، **تروحت**: راحت مساء، **الرئال**: ولد النعام.

ولقَــدْ عَلمْــتِ إذا العِــشارُ ترَوَّحَــتْ هَــــدَجَ الرئَـــالِ تَكُـــبُّهُنَّ شَـــمالا

تَرْمــي العِـضاةَ بحاصِـبٍ مِـنْ ثَلْجِهـا حتـــى يَبيـــتَ عَلـــى العِـــضاهِ جُفـــالا

أنّـــا نُعَجِّـــلُ بـــالعَبيطِ لـــضَيْفنا قَبْـــلَ العِيـــالِ ونَقْتُـــلُ الأبْطـــالا

ويفتخر بأن قومه فضلوا الناس بخصال حميدة، ومنها:الكرم وحسن الضيافة وحماية الجار والشجاعة إلى غير ذلك من الخصال الطيبة، وأخذ يفتخر بهذه الخصال الحميدة كثيراً، مصوراً تلك المكارم التي يتمتع بها التغلبيون في مفاخره، قائلاً: [1]

وإنّـــا لقـــوَّادونَ للأمْـــرِ قَوْمَنـــا يكـــونُ لنـــا مَيْمونُـــهُ و أشـــايِمُهْ

وإنّـــا لجـــزَّاؤونَ بـــالخَيْرِ أهْلَـــهُ وبالـــشّرّ حتـــى يَـــسأمَ الـــشّرَّ ســـايِمُهْ

وكذلك يفتخر الأخطل بكرمه، حيث يأتي بصورة رائعة يبين من خلالها حالة الضيف الذي اهتدى إليهم، واصطلى بنارهم في تلك الليلة الهادئة فصور حالة هذا الضيف الذي كان متهشم الوجه وذلك لإقامته في الأمكنة المتوحشة، وقد نبه الأخطل سعداً ليقوم بواجب الضيافة لهذا الضيف، الذي كاد يفقد صوته من شدة التعب، فأكرمه من تلك الإبل لتكون عوناً له ويستمر في كرمه، فيقول إنه يحلب للضيوف، وإذا لم تف لبانها بالغرض المطلوب حلبها بسيفه لحماً، ويقول مصوراً كرمه: [2]

ومُـــسْتَنْبِحٍ بَعْـــدَ الهـــدوّ دعَوْتُـــهُ بـــصَوْتيَ فاستعـــشى بِنِـــضْوٍ تزَغّمـــا

فجـــاء وقَـــدْ بلّـــتْ عَلَيْـــهِ ثيابَـــهُ ســـحابةُ مُـــسْوَدّ مِـــنَ اللّيـــلِ أظلَمـــا

وفـــي لَيْلَـــةٍ لا ينْـــبَحُ الكَلْـــبُ ضَـــيْفَها إذا نُبّـــهَ المبْلـــودُ فيهـــا تغَمْغَمـــا

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ص303، **ميمونه:** خيره، **سايم الشر**: الساعي به

([2]) **المصدر نفسه**، ص 313،314. **نضو**:بعير أضناه السفر، **تزغما**: ضعف رغاؤه، **المبلود**: المثقل البليد، **الهجف**: الجافي الغليظ، **سعد**: غلام الأخطل، **المكرعات**: الإبل التي اسودت أعناقها من الدخان

فلمّـا أضـاءتْهُ لنـا النّـارُ واصْـطلى أضـاءتْ هِجَفّـاً مُوحِـشاً قـدْ تهـشّما

فنَبّهْـتُ سَـعْداً بَعْـدَ نـوْمٍ لطـارِقٍ أتانـا ضـئيلاً صَـوْتُهُ حـينَ سَـلمّا

فقُلْـتُ لهُـمْ هـاتوا ذخيـرَةَ مالـكٍ وإنْ كـان قـدْ لاقـى لَبوسـاً ومَطعْمـا

فقـالَ ألا لا تجـشِموها وإنّمـا تَنَحْـنَحَ دونَ المُكْرَعـاتِ لتُجْـشما

وإنّـي لحـلاَّلٌ بـيَ الحـقُّ أتّقـي إذا نـزَلَ الأضْـيافُ أنْ أتَجهّمـا

إذا لـمْ تَـذُدْ البْانُهـا عَـنْ لحومِهـا حلَبْنـا لهُـمْ منْهـا بأسْـيافِنا دَمـا

وحينما يعجب **(قدامة بن جعفر)** في الشعر، ويحدد الفضائل في المعاني ويزنه بموازين الأخلاق كيف يتصور الجمال فيه يقول: " فمن جودة هذا الهجاء أن الشاعر تعمد به أضداد الفضائل على الحقيقة فجعلها فيهم، لأن الغدر ضد الوفاء، والفجور ضد الصدق، والبخل ضد الجود، ثم أتى بعد ذلك بضد أجل الفضائل وهو العقل حيث قال:

أتـاني أن جَحـش بنـي كُليـبٍ تَعَـرضَ حـول دِجلـةَ ثـم هابـا

فـأولى أن يظـل العبـد يطفـو بحيـث ينـازع المـاءُ الـسحابا

أتـاكَ البحـرُ يـضرب جانبيـهِ أغـرّ تـرى لجِريتـهِ حبابـا

يغـدوا عليـك مرجـل يـن كـأنهم لـم يفعلـوا

لأن هذا الفعل إنما هو من أفعال أهل الجهل والبهمية"[1]

ومن ذلك يفتخر جرير بكرمه، وقد نسب نفسه إلى حنظلة، وهي أكرم قبيلة في بني تميم، فالكرم من أجمل الصفات العربية،وهي صفات الرجولة من رفعة النسب وكثرة الكرم والجود،والمجالس العامرة، وإذا مدح وافتخر بحنظلة فإنما يثبت هذه الفضائل لهم، ويحجبها عن

([1]) جعفر بن قدامة، **نقد الشعر**،ص،**93،94**.

غيرهم، ويعني بذلك أن صورة المهجو تبدو جلية في عكس المعنى فهم يفتقدون إلى كل المكارم والفضائل بحيث إن قبيلة حنظلة تفوقهم بالفضائل، حيث يقول مفتخراً على الفرزدق :[1]

إنّـــي ابـــنُ حَنظَلَـــةَ الحـــسانِ وُجـــوهُمُ والأَعظمَـــــينَ مـــــساعياً وجُـــــدودا

وَالأكـــــرمِينَ مُرَكَّبـــــاً ، إذ رُكِّبُـــــوا وَالأَطيبـــينَ مـــن التَّـــرابِ صَـــعِيدا

وَلَهُـــم مَجـــالسُ لا مُجـــالسَ مِثلُهـــا حَـــسَباً يُؤَثِّـــلُ طارفـــاً وَ تَليـــدا

ونلاحظ مما سبق أن الفخر عند شعراء النقائض كان فخراً بالقبيلة ورجالها ووقائعها، وبالكرم والسيادة والقوة ونبل الصفات، وحسن الضيافة والفروسية وغيرها من السمات التي فخر بها العربي قديماً واضحة في كثير من معاني هذه النقائض وصورها.

فن الهجاء وهو نقيض الفخر، أو بالأحرى أنه وجه سلبي له ، فالشاعر قد يفتخر بنفسه بتعداد مآثرها ولكنه يفتخر بها أيضاً، بإظهار نقمتها وسويدائها من الرذائل والبشاعة، أكانت في الفرد أو المجموع.[2] ولئن كان الفخر تعبيراً عن النفس التي ترى من الوجود وجوه الحسن والأمل، إن الهجاء يعبر عن وجوه القبح واليأس، وهو تجسيد لملامح الشر والاختلال والشعور بالنقص والاختلاف. [3]

وللهجاء نوعان: هجاء انفعالي خارجي، يعتمد على التعابير المقذعة والتشابيه الدنيئة، وهذا النوع من الهجاء يضعف فيه التعبير الفني، ويعتمد على التأثير العصبي.

والنوع الآخر من الهجاء يتنكب عن الألفاظ البذيئة أو الصور المفرطة في البذاءة وتشويه المهجو، ويتوسل بالتحليل النفسي الذي يظهر المهجو بصورة تخالف تمام المخالفة ما ينبغي أن

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 171، **حنظلة**:هي أكرم قبيلة في بني تميم،**المؤثل**: المركوم بعضه على بعض المنضد

([2]) انظر، حاوي، إيليا، **فن الهجاء وتطوره عند العرب**، مرجع سابق، ص 7.

([3]) **المرجع نفسه**، ص8.

يكون عليه، فإذا كنا نتوقع منه أن يكون شجاعاً، فإنه يجعله يتصرف تصرفاً في غاية الجبن والحقارة، فلا يكون الهجاء باللعن والسباب ،بل بالتناقض والغرابة في الأصول والأحوال النفسية، فالنوع الأول من الهجاء أكثر سهولة وأعنف تأثيراً،أما النوع الثاني أشد صعوبة وأكثر بقاءً و خلوداً، لأنه يعتمد على تحليل النفس البشرية .[1]

ويرى **د.(شوقي ضيف)** فرقاً كبيراً بين الهجاء الجاهلي والهجاء الأموي في قوله:"فالشاعر الجاهلي لم يكن يهجو ليضحك جمهوراً وليقطع له أوقات فراغه، ولم يكن يهجو أمام خصومه مباشرة، ولم يكن يحترف الهجاء على هذا النحو الذي نجده في عصر بني أمية".[2]

فالهجاء أحد أغراض الشعر الرئيسية، ويهدف إلى سلب المهجو فضائله وتشويه صفاته الحميدة لذلك يسبب خصومة فردية أو قبلية حيث أن أبرز ما يتناوله الشاعر حين يعزم على هجاء شخص أو قبلية، نعت، المهجو، بالبخل والجبن والطعن بالأصل والنسب، وتجسيم عيوبه الخلقية والنفسية.

([1]) حاوي، إيليا، **فن الهجاء وتطوره عند العرب**، مرجع سابق ، ص22.

([2]) ضيف شوقي، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، مرجع سابق، ص164.

صورة المهجو من خلال الطعن في محارمه:

برع شعراء النقائض بالهجاء، حتى وصلوا في هجائهم إلى المرأة، فقد صبوا أغلب هجائهم على نساء قبائلهم، وقد تعرضوا لهن بالقذف والإسفاف والتجريح والفحش، ولم يتركوا جزءاً من أجزاء جسد المرأة إلا وكشفوه، وقد تناولوا أعراض الأمهات والزوجات والأخوات وسائر نساء القبيلة.

ولجرير موهبة خاصة في استخراج العيوب، ورسمها بأسلوب شائق، ومعروف عنه السب والشتم والقذف والفحش بالنساء، فجرير كما يرى **د.(شوقي ضيف)** "كان أشد عنفاً من صاحبيه الأخطل والفرزدق، فهو يشبه الطائر الجارح حين ينقض على فريسته يريد ألا يبقي فيها شيئاً، ولعل ذلك ما جعله يلجأ في أحوال كثيرة إلى هتك الحرمات والأعراض، كأنه يريد أن يمزق خصمه تمزيقا ". [1]

ويقول جرير هاجياً نساء تغلب قاطبة إذ استنزل عليهن اللعنة من السماء، وزعم أنهن يكشفن النقاب عن وجوههن استهواء للفاحشة ، ويرسم لهن صورة جماعية إلى كونهن عجوزات حقيرات دميمات في آن معاً، ويقرن الشاعر نسوة تغلب بالبهائم في جلابيبهن، لأن الفرو يختص ببعض البهائم، ويعير جرير الأخطل ووالدته بشرب الخمر والقذارة والقباحة، فهذه الصفات قد تأصلت فيها، ويرسل لها صورة ساخرة، وقد اخضرت أسنانها وتضخم بطنها من أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، ويعمل جرير على تصويرها بخنزيرة حملت من خنزير، وبهذا نسب جرير الأخطل انتمائه إلى الخنزير، ويصوره بأبشع الصور فلا يعترف باسمه الأصلي، وإنما يصغر اسمه ويهينه، ولم يكتف بذلك بل يهجو أمه ويلح على تصويرها بصورة مهينة، فيرسم صورتها بدقة، فهي امرأة فقيرة تسكن في بيت مرقع من بقايا العبايات، فضلاً عن ذلك فهي مخمورة دائمة حتى إنها ولدت

([1]) ضيف شوقي، التطور **والتجديد في العصر الأموي**، مرجع سابق، ص209.

ابنها أيضاً مخموراً، أما صورة أم الأخطل فيزيد جرير في تحقيرها فهي غير نظيفة، ووسخة الأسنان لا تعرف استعمال السواك ولا تعرف طهارة، وفي آخر الصورة طبعها بصورة الخنزير الموسوم بالقذارة ، فقد لقحها الخنزير وهي خنزيرة فولدت خنزيراً، قائلاً :[1]

لَعَــنَ الإلَــه نُــسَيَّةً مــن تَغلــب يَــرفَعنَ مــن قِطَــعِ العَبَــاءِ خُــدُوراً

مِــن كُــلِّ حَنكَــةٍ تَــرَى جِلبَابَهــا فَــــرواً وَتَقلــبُ للعَبــاءةَ نيــراً

وَكَأَنَّمــا بَــصَقَ الجَــرادُ بِلِبِتَهــا فَالوَجــهُ لاَ حَــسَناً وَلاَ مَنــضُورا

لَــم يَجــرِ مُــذ خُلِقَــت عَلَــى أنيابَهــا مَــاءُ الــسِّواكِ وَلَــم تَمَــسَّ طَهُــورا

لَقحَــت لِأَشــهَبَ بالكُناسَــة داجِــنٍ خنزيــــرَةٌ فَتَوالــــدَا خِنزِيــــرا

ويستمر جرير سخرية من الأخطل، حيث يصور والدة المهجو تسعى على أثر الخنزير وهي سكرانة، وتشم رائحته الخبيثة تباعاً ظناً منها طيب الغزال، ويشير بذلك إلى أنها بلهاء خرقاء لا تميز الروائح العطرة من الخبيثة، إذ يقول:[2]

تَــسوفُ التّغلِبِيَّــةُ وَهِــي سَــكرَى قَفــا الخَنزيــرِ تَحــسبُه غَــزَالا

ولجرير أسلوبه اللغوي يحقر به من شأن الأخطل، إذ يناديه بصيغة التصغير ويكررها وهو هنا يفيد من فائدة هذه الصيغة اللغوية بذاتها، ولا نقرأ في مهاجاته للأخطل إلا بتصغير اسم المهجو احتقارا لشخصه، بقوله: [3]

أُمُّ الأَخَيطــل أُمُّ غَيــرُ مُنجِبــةٍ أَدَّت لأَشَــهبَ وَســطَ البَــقِّ نخــارِ

([1]) جرير، **ديوانـه**، مصدر سابق، ص293. **حنكـة:** العجوز الدميمة، **الـداجن:** المقيم، **العبـاءة:** أراد الأكسية الخسيسة.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 414، **تسوف قفاه:** أي تشمه،

([3]) **المصدر نفسه**، ص313، ثم انظر: ص 145، 146، 260، **الاشهب:** الخنزير، **الخنانيص:** صغار الخنازير

كـأَنَّ مـا اسـوَدَّ مـن إقبـال عانَتِهَـا ظِـلًّا غُـرابَين مَقـرُونَين فـي غـارِ

تَـضغوا الخَنـانيصُ وَالفُـولُ لـذَّي أَكَلَـت فـي حاوِيـاتِ رَدُومِ اللَّيـلِ مِجعـار

ويستمر جرير هاجياً الأخطل ساباً وشاتماً نساء قومه، إذ يصور جرير الرائحة التي تفوح من جلد التغلبية لكثرة أكلها وطول معاشرتها إياه ويعيره بالصليب، قائلاً: [1]

إذا مـا رَأيـتِ اللِّيـتَ مـن تَغَلبَّيـةٍ فَقُـبَّحَ ذاكَ اللِّيـت وَالمتوَشَّـحُ

تـرى محجـرا منهـا إذا مـا تنقبـت قبيحـا ومـا تحـت النقـابين أقـبح

إذا جُـرِّدَت لاَح الـصَّليبُ علـى أُسـتِها ومـن جِلـدها زَهـمُ الخنـازيرِ يَـنفَحُ

ونلاحظ تعرض جرير للمرأة التغلبية عامة، ولوالدة الأخطل خاصة، وقد ألصق بها المعاني الهجائية البذيئة، مسمياً هذه المعاني والصور الجنسية بأسمائها، ومصوراً أم الأخطل بأسوأ وأشنع الصور التي لا يمكن لعاقل تحمل هذه الصور الدقيقة في الوصف، وما جاء فيها من إهانات للمرأة، ويزيد في صورة المهجو وأمه بأنه ابن زنى، وأمه تعمل الفاحشة، مشككا في نسب أولاد نساء قبيلة الأخطل.

والأخطل يفحش في بعض نقائضه، فلم يسلم جرير وأهل بيته من كلمات قذرة يرميه بها، لكن ليس كفحش جرير وسخريته في شعره، إذ يقول: [2]

فـلا تَـدخلْ بُيـوتَ بنـي كُليـبٍ ولا تقـرَبْ لهُـمْ أبـداً رِحـالا

قـصيراتِ الخُطـى عـن كـلِّ خيـرٍ إلـى الـسَّوءاتِ مُـسْمِحَةً رِعـالا

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 113.

([2]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ص249,250. **مسمحة**:منقادة

يتعرض الأخطل لوالدة جرير بالهجاء، ويلصق صفة اللؤم فيها، ويفقدها العفة، في صورة ساخرة، ويعيره بأمه المراغة التي تبيح نفسها لأي شخص، ويسخر من جسده فقد ولدته أمه قبل أوانه في الشهر السابع والأخطل يمعن بالهجاء والشتيمة لمهجوه، ويشتمه بأمه وبخلقته، ونسبه، وبوالده، حيث يقول: [1]

مـــا كـــانَ مَنزِلُـــكَ المـــرُّوتَ مُنْجَحِـــراً يـــا بـــنَ المَراغـــةِ يـــا حُبْلـــى بمُخْتـــارِ

جـــاءتْ بِـــهِ مُعْجَـــلًا عَـــنْ غِـــبّ ســـابِعَةٍ مِـــي ذي لهالِـــهَ جَهْـــمِ الوَجـــهِ كالقـــارِ

أمٌّ لئيمَـــــةُ نَجْـــــلِ الفَحْـــــلِ مُقْرِفـــــةٌ أدَّتْ لفَحْـــــلٍ لئـــــيمِ النّجْـــــلِ شَـــــخّارِ

ويقول جرير هاجياً نساء مجاشع، ونعتهن بالسوءة، وسوء الخلقة، وقد أفحش وأقذع في رسم صورة مزرية لنساء مجاشع، فهن إذا أسفرن وكشفن عن وجوههن المشوهة الشكل، لهن أنوف كأنف الخنزير غليظة، وهذه صورة تهكمية، فضلاً عن تصوير النساء بشبه الخنزير، وهو حيوان تشمئز منه النفس، في شكله وطباعه القذرة، قائلاً: [2]

إذا أَسَـــفَرت يَومـــاً نِـــساءُ مُجاشِـــعٍ بَـــدَت سُـــوءَةٌ ممَّـــا تُجِـــنَّ البَراقُـــعِ

مَنـــاخِرُ شـــانَتها القُيُـــونُ ، كَأَنَّهـــا أُنُـــوفُ خنَـــازِيرِ الـــسَّوادِ القَوابـــعِ

مَباشِـــيمُ عَـــن غـــبِّ الخَزِيـــرِ كَأَنَّمـــا تُـــصَوِّتُ فـــي أَعفـــاجِهِنَّ الـــضَّفادعِ

يتهم جرير نساء مجاشع، ولا يسمي فعلهن بالاسم، ولكنه يلمح إلى الفعلة بما يكشف عنه، فهو يقول إنهن يقمن بعد أن ينام الناس فتنبحهن الكلاب، وقيامهن ليس لصلاة الوتر أو لتأدية واجب فصورة المهجوة في هذا البيت مشينة، والتلميح إلى الفعل السيئ دون ذكره صراحة يزيد من

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ص145،**المروت** :اسم مكان لكليب، **مختار**: بلاد ببني كليب، **غب سابعة**: لم يتم خلقه، **لهاله**: فرج عميق

([2]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص371.

التشكيك، والتقول كثيراً، وفي الجانب الآخر من هذه الصورة هجاء إلى رجال مجاشع، واتهامهم بعدم الحمية، ورعاية نساء القبيلة، وسماحهم لهن بالتحلل من الضوابط والشيم العربية والأخلاقية، يقول جرير:[1]

إذا قامَـــت لِغَيـــر صَـــلاةِ وِتـــرٍ بُعَيـــدَ النَّـــومِ أَنبحَـــتَ الكلابـــا

ويهجو الفرزدق بزوجته النوار طاعناً بعفتها واستقامتها، يقول:[2]

فَباتـــت نَـــوارُ القَـــين رِخـــواً حِقابُهـــا تُنـــازِعُ ســـاقي ســـاقَها حَلَـــقَ الحجـــلِ

تُقَـــبِّحُ رِيـــحَ القَـــينِ لَمـــاً تَناوَلـــت مِقَـــذَّ هِجـــانٍ إذا تُـــساوِفُه فَحـــلِ

ويستمر جرير في هجائه للفرزدق ويعيره **بقفيرة** إحدى جداته مقذعاً بها وبه، قائلاً: [3]

قُفَيـــرةُ لَـــم تُرضِـــع كَرِيمـــاً بِثَـــديِها وَمـــا أَحـــسَنَت مـــن حَيـــضَةٍ أَن تَطَهـــرا

ومـــا حَمَلَـــت إِلَّا عراضـــاً لِزينـــةٍ وَلَا سِـــيقَ مِـــن مَهـــرٍ إليهـــا فتُهمـــرا

أَتعـــدِلُ سَـــجلاً مـــن قُفيـــرَةَ مُقرِفـــاً بـــسام إذا اصـــطكَّ الأَضـــاميمِ صُـــدَّرا

وقد جعل جرير من **قفيرة** جسراً ليصل بهجائه عبرها إلى **جعثن** أخت الفرزدق، حيث جعل أغلب هجائه للفرزدق من خلال أخته، فقد أهان صورة الفرزدق المهجو، وأقذع له بأخته، واتهمها بالزنى، وفعل المحرمات، وقومها لم يثاروا لابنتهم، فقد ألح جرير بهجائه للفرزدق بأخته جعثن، وفي هذه صورة للمهجوة وأخيها، وإمعان في إذلال الرجال بالتعرض البذيء لنساء القبيلة، علهم

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص73.

([2]) **المصدر نفسه**، ص465

([3]) **المصدر نفسه**، ص 249،

يدافعون عن أعراض نسائهم، أما بالنسبة للرجال فهذا استهتار وطعن بشرفهم، وحميتهم القبلية والأخلاقية، قائلاً: [1]

وَجعـــثنُ حَـــطَّ بهـــا المِنقَـــريُّ كَرجـــع يـــدَ الفـــالِجِ الأَحـــرَدِ

تَثـــاءَبُ مِـــن طُـــولِ مـــا أُبرِكَـــت تَثـــــــاؤُبَ ذي الرُّقيـــــــة الأَدرَدِ

فهَـــلاَّ ثَـــأرتَ بِبِنـــتِ القُيُـــونِ وَتَتـــرُكُ شَـــوقاً إلـــى مَهـــدَدِ

وَهَـــلاَّ ثَـــأَرتَ بِحَـــلِّ النِّطـــاقِ وَدَقِّ الخلاخِيـــــلِ وَالمعـــــضدِ

إن هجاء جرير يقوم في تصوير المهجو عنده بالبواعث الساخرة أو الخبيثة التي عزاها جرير للفرزدق، وأول هذه البواعث: أنه **(قين) (قين ألف الحمم)**، والترفق بالكير دون السيف، أما الباعث الثاني فهو كونه من بني مجاشع الذين لا يقطع سيوفهم، لأنهم يتظاهرون بمظاهر الرجولة، فيما هم يضمرون الجبن والرِّعدة .

فصورة الفرزدق المهجو ذاته، الذي دأب على الفحش، والجبن ولم يتمرس على الفروسية، بل الجبن عريق فيه، ويعيره بأنه قين، وإن قومه من القيان تنبو سيوفهم بأيديهم لغلظتها من نفخ الكير، ولا يبتعد جرير عن طعن الفرزدق بمحارمه و إهانة المهجوِّ بتصوير كل ما يتصل به وله علاقة معه إمعاناً في إذلاله، حتى بالغ جرير وأسرف ووصل غاية الفحش، وهذا مغالاة في قذفه وإباحيته، وقصده في ذلك تأكيد صورة المهجوِّ، بتغافله عن الثأر لكرامة محارمه، وقبوله الذل والعار، وعدم دفاعه عن أخته، وفي الجانب الآخر صورة أخت المهجو وقبولها مالا تقبله غيرها.

أما هجاء الفرزدق فكان لاذعاً قوياً فعندما كان يهجو نساء بني كليب وسمهنّ بالبغايا اللواتي يعرضن أجسامهن وأنفسهن على الرجال والمقابل كان أبخس الأثمان. [2]

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 129. وانظر: ص، 406

([2]) انظر: الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 102.

ويهجو الفرزدق جريراً ويعيره بابن المراغة في أغلب نقائضه، وهنا صورة قميئة للمهجو فينسب الابن لأعمامه وأخواله، وفي هذا ينال الفرزدق من جرير، فلا جمع شرف النسب من العمومة ولا من الخؤولة، فضلا عن إيذائه بأمه وطعنه بنسبه، فإين أخوال الفرزدق ورفعتهم من أخوال جرير ووضاعة نسبهم حيث يقول: [1]

يـا ابـنَ المَراغَـةِ ، والهجَـاءُ إذ التَقَـت أعناقُـــهُ وتَمَاحَـــكَ الخَـــصمانِ

يـا ابـنَ المَرَاغَـةِ ، إنَّ تَغلـبَ وائـلٍ رَفَعُـوا عِنَـاني فـوقَ كُـلِّ عِنَـانِ

ويقول أيضا: [2]

يـا ابـنَ المراغَـةِ أيـنَ خالـكَ إنَّنـي خـالِي حُبَـيشٌ ذو الفَعَـالِ الأفـضَلُ

ولقد كان الفرزدق أول من وصف أم جرير بالمراغة [3]، وسار الشعراء من بعده على ذلك، وقال الفرزدق هاجياً جريراً بعماته وخالاته معيراً إياه بكونهن يرعن الإبل، ويرتكبن مع الرعاة الفواحش، ومن ذلك قوله: [4]

كـم خَالَـةٍ لـكَ يـا جَريـرُ وَعَمَّـةٍ فـدعاءَ قـد حَلبَـت عَلَـيَّ عِـشَاري

كُنَّـا نُحـاذِرُ أن تَـضِيعَ لِقَاحُنَـا وَلَهـاً إذا سَـمعَت دُعَـاءَ يَـسَارِ

شَـغّارَةٍ تَقِـذُ الفَـصِيلَ بِرجلِهَـا فَطَّـارَةٍ لِقَـوادِمِ الأبكَـارِ

كَانَـت تُـراوِحُ عاتقيهـا غُلبـةً خَلـفَ اللَّقَـاحِ سَـريعَةَ الإدرارِ

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 639.**التماحك**: اللجاجة.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 492.

([3]) انظر: **لسان العرب**، مصدر سابق، مادة مرغ مج8، ص 450 وجاء في اللسان: **مراغة الدواب**: الموضع الذي تتمرغ فيه الدواب، **المراغة الأتان**، وقيل الأتان لا تتمنع عن الفحول، وبذلك تكون أمه **مراغة** للرجال لا تتمنع عنهم.

([4]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 312، 313.

وبهذا يرى الباحث أن شعراء النقائض بإلحاحهم على النساء، يحاول كل واحد منهم أن يسلب قيمة تعد من أهم القيم العربية الأصيلة، فمن المعروف أن العربي الأصيل يموت دون عرضه وكرامة نسائه وعزتهن، فانتهاك هذا العرض يؤدي إلى ضياع عشيرته وكرامته ورجولته، وتدنيس شرفه وبقائه ذليلاً وضيعاً أمام نفسه والآخرين، والهجاء في رأي **د.(محمد محمد حسين):** "يصور مثله الأعلى، ولكنه يصوره خلال سخطه وغضبه أو اشمئزازه واحتقاره، فهو يصوره بالسخرية من نقيضيه" [1].

صورة المهجو بالقيم الدينية

إن هجاء جرير للأخطل لا يخرج عن دائرتين، فهو إما هجاء بالمرأة، أو هجاء بالدين، لذلك نلحظ بأن هناك تعالقاً في معاني الصور للمهجو لا يمكن فصلها في القيم الاجتماعية

([1]) حسين، محمد محمد، **الهجاء والهجاؤون في الجاهلية**، دار النهضة العربية، بيروت، ط3،1970، ص 19

والأخلاقية والدينية، ويرى **د.(محمد محمد حسين)** "كانت مهارة الهجاء تتركز في إدراكه لوجه النقص في خصمه، وقدرته على الافتنان والتصرف في استخراج مختلف الصور وألوان الدعابة الساخرة منه، فهجاء جرير للأخطل يدور في معظمه حول نصرانيته، فكل صوره من الخمر والصليب والجزية المفروضة على أهل الذمة".[1]

فالأخطل نصراني استغل جرير نصرانيته ليهجوه من خلالها، وأخذ جرير يعير الأخطل بنصرانيته وبالصليب والقس، وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر، حيث يقول هاجياً الأخطل وقومه، بأنهم عبدوا الصليب وكذبوا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهم يرتكبون ما حرم الله، فلا اكتسبوا الدين، ولا اكتسبت نساؤهم الحلال في كل ما يفعلن في حياتهن، فصورة المهجوِّ قد سلط جرير الأضواء عليها من حيث القيم الدينية وتعييره بنصرانيته، بل طعنه بالقيم الأخلاقية ، وسوء خلق نساء تغلب، فضلاً عن تشويه المهجو اجتماعياً في مجتمع قبلي يأبى تناول مذمة الدين أو النساء، يقول: [2]

قَــبَحَ الإِلــهُ وُجُــوهَ تَغلــبَ كُلِّمَــا شَــبَحَ الحجــيجُ وَكَبَّــرُوا إهــلالاَ

عَبَــدوا الــصَّلِيبَ وَكَــذَّبوا بِمُحَمَّــدٍ وبجبرائيــــلَ وكــــذَّبُوا مِيكــــالا

نبِّئــتُ تَغلِــبَ يَنكِحــوُنَ رِخــالُهم وَتَــرَى نــساؤُهُمُ الحَــرامَ حَــلَالا

ويكرر ذلك في أكثر من موقف، وفي أكثر من قصيدة، قائلاً:[3]

لَعَــنَ الإِلــهُ مــن الَّــصليبُ إلهُــهُ وَاللَّابِــسِينَ بَــرانِس الرُّهبــانِ

تَغَــشى المَلائِكــة الكِــرامُ وَفاتنــا وَالتَّغلبــيُّ جَنَــازةُ الــشَّيطانِ

([1]) حسين محمد محمد، **الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام**، دار النهضة العربية، بيروت،1971، ص134

([2]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 450، 453.

([3]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 576.

ويستمر جرير بتعيير الأخطل بنصرانيته وبالصليب والقس، قائلاً :[1]

أَفبالـــصَّليبِ وَمـــارَ سَـــرجس تَتّقـــي شَـــــهباءَ ذاتَ مَناكَـــــبٍ جُمهُـــــورا

وقد ألصق جرير بهم الكفر والخروج عن الدين والإلحاد، إذ يقول :[2]

مـــا كـــانَ يَرضـــىَ رَسُـــولُ الله ديـــنَهُمُ وَالطَّيِّبـــــانِ أَبُـــو بَكـــــر وَلا عُمَـــــرُ

جـــاءَ الرَّسُـــولُ بِـــدينِ الحَـــقِّ فـــانتكَثُوا وَهَـــل يَـــضِيرُ رَسُـــولُ الله أَن كَفَـــروا

ويستمر جرير في هجائه ، مقارنا بين جنائز المسلمين وجنائز النصارى، إذ تحضر الملائكة جنائز المسلمين ، بينما تحضر الشياطين جنائز النصارى ، ومن ذلك قوله :[3]

تَغـــشَى المَلائِكَـــةُ الكِـــرامُ وَفاتنـــا وَالتَّغلِبِـــــيُّ جَنَـــــازَةُ الـــــشَّيطانِ

يُعطـــى كِتَـــاب حِـــسابِه بِـــشِمالِهِ وَكتابُنـــــا بأَكُفِّنـــــا الأَيمـــــانِ

ويعير جرير قوم الأخطل بدفع الجزية والتي ترمز للذل والعبودية، فيهجوهم بعدم تطبيق شعائر الإسلام، وفي ذلك يسوق تعيره للأخطل لهم بدفع الجزية إلى الاعتقاد بأنه يأخذ عليهم رضاهم بما يفرض على غير العرب، فكأن قوم الأخطل من الأعاجم أو العبيد أو هم من طبقة دنية ليسوا بأحرار، ويأخذ من دين تغلب للتدليل على تدنيهم عن سائر القوم وكأنهم ليسوا عرباً، قائلاً:[4]

لَنـــا كُـــلَّ عـــامٍ جِزيَـــةٌ تَتَّقـــي بهـــا عَلَيـــكَ ومـــا تَلقَـــى مِـــنَ الـــذُّلِّ أَبـــرَحُ

([1]) **المصدر نفسه** ص 292.**شهباء:** كتيبة بيضاء من كثرة الحديد، **جمهور:** الجيش

([2]) **المصدر نفسه**، ص 263. **انتكبوا:** عدلوا عن الحق ومالوا عنه إلى الكفر

([3]) **المصدر نفسه**، ص 576.

([4]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص111.

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [1]

وبحسب رأي **(نبيل علي محمد حسين)**: " صحيح أنه لم يورد كلمة **(صاغرون)** إلا أنه يلمح لها، بل أنه استخدمها في قوله: **(وما تلقى من الذل أبرح)**، وبذا نشعركم كان ذكياً في التناص مع القرآن لتكثيف المعنى الذي يريده، حيث استغل جرير كلمة **(جزية)** في سياقها السابق ليشير بها إلى هذه الفكرة الإسلامية في تنظيم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين ببراعة، إذ يوفر المسلمون –مقابل الجزية– الحماية لأهل الكتاب، ويأخذون منهم العهد مقابل دفع هذه الجزية التي لا يؤديها بعضهم إلا غصباً".[2]

ويصور جرير ما حل ببني تغلب من الدمار والهلاك في إحدى الوقعات المشهورة، وبين ما نزل بقوم عاد في الأحقاف، حيث أرسل الله عليهم ريحاً عقيماً، في أيام متتابعة حتى جعلتهم كالرميم، يقول: [3]

كانَــت بَنُــو تَغلِــبٍ لاَ يعــلُ جَــدُّهُمُ كَــالمُهلكِين بِــذِي الأَحقــاف إذ دَمَــروا

صُــبَّت عَلَــيهِم عَقِــيمٌ مــا تُنــاظِرُهُم حَتَّــى أَصــابَهُمُ بالحاصــبِ القَــدَرُ

ويصور جرير هاجياً الأخطل وقومه بدينهم، ومعيرهم بأكل لحم الخنزير، ووجدها فرصة لينال منهم، ونسبهم إلى غير العرب وإلحاقهم بالأعاجم، وذلك للتقليل من شأنهم وتحقيرهم يقول:[4]

يــا خُــزرَ تَغلــبَ إنِّــي قَــد وَسَــمتُكُمُ عَلَــى الأُنــوفِ وُسُــوماً ذاتَ أَحبــارِ

([1]) **سورة التوبة، الأية29**.

([2]) حسين، نبيل علي محمد، **التناص عند شعراء النقائض جرير والفرزدق والأخطل**، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك،2006,2005، ص185.

([3]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق ص 261، 262، **الأحقاف**: ديار عاد، وهي رمال بظاهر بلاد اليمن كانت عاد تنزل بها

([4]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 312. **الأحبار**: الآثار التي لا تدرس.

لا تَفخـــــرُنَّ فـــــإنَّ الله أنـــــزَلَكُم يـــا خُـــزرَ تَغلـــبَ دارَ الـــذُّلِّ وَالعـــارِ

ويستمر جرير في هجائه للأخطل بدينه، إذ يعيره وقومه بشرب الخمر، رغم تحريم الإسلام له، يقول : [1]

إذ مـــا رَأَيـــتَ اللِّيـــت مـــن تَغلبيِّـــةٍ فَقُـــبِّحَ ذاكَ اللِّيـــتُ وَالمُتوشِّـــح

يَقِـــئنَ صُـــباباتٍ مـــن الخَمـــرِ فوقَهَـــا صَـــهِيرُ خَنَـــازِيرِ الـــسَّوادِ المُمَلَّـــح

فجرير هاجم الأخطل وسخر منه ومن عباداته التي لا توافق ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فإن الأخطل لم يهاجم الديانة الإسلامية وأصحابها، ولم يستطع أن يرد عن خصمه في هذا المجال، ويعلل **(أحمد الشايب)** سبب تفوق جرير على الأخطل، "كان يخشى أن يهاجم مسلما في دولة إسلامية أو يتورط في شيء لا يلائم طبعه " [2]

فكان الأخطل لديه قدرة أن يرد على خصمه جرير الذي كان يضغط عليه ليبتزه، لكنه أبى فهو لا يريد أن يفتح على نفسه باباً لا يغلق.

لقد استفاد جرير من واقع حال الأخطل ومن بقائه على نصرانيته، ولا توجد قصيدة لجرير في هجاء الأخطل مهجو جرير، إلا ويمعن في تحقير مهجوِّه ويعيره بدينه وصليبه وقديسه، أو تحليله للخمرة وأكل لحم الخنزير، متغنياً بالطقوس الإسلامية مقابلاً بينها وبين الطقوس المسيحية التي يعقب عليها بكل إقذاع وتسفيه، ويتعرض للمرأة التغلبية في هجائه ولوالدة الأخطل بالأخص، ناعتاً عليها المعاني الهجائية النابية التي لم يقدر لشاعر هجاء غيره أن يقذع في الهجاء والبذاءة وأن يقدم صورة متدنية للمهجوِّ أكثر من جرير.

([1]) **المصدر نفسه** ص 113، **الليت:** مجرى القرط من العمق، **صهير**: مذاب، **صبابات:** بقية الشيء .

([2]) الشايب، أحمد، **تاريخ النقائض في الشعر العربي**،مرجع سابق، ص 414 .

وفـي بعـض القـصائد يعيـر جريـر الأخطـل بمثلبـة أخـرى، وهـو بـدفع النـصارى الجزيـة كاستطراد في الهجاء الديني لمهجوِّه الأخطل، مردداً انتصارات المسلمين على النصارى، فجرير بصراعه مع الخصم يصور المنازعات بين التغلبيين والقيسيين على أنها صراعات دينية، وليست صراعات قبلية وسياسية، وقصده إهانة مهجوِّه الأخطل، ليزري بها خصمه، فهجاء جرير لا يستقيم هنا إلا في حدود المهاترات والإقذاع اللفظي، ولكن جريراً أفاد من القيم الجديدة الطارئة على المجتمع في العصر الأموي، هو الهجاء بالدين بين النصارى والمسلمين، متطاولاً على خصمه بما يعجز أو يعف عن الأخذ به، والرد عليه، ويشير **(إيليا حاوي)** إلى ذلك بقوله: " إذ كان الأخطل يقول قول المسلمين في عقيدتهم وقد تصنف ذلك في باب الشتم والابتذال والإسفاف الفني إذ فسر النتائج بغير أسبابها، أو أنه افتعل لها أسبابا غير فعلية ليفيد من ذلك زراية وهمية افتراضية " [1]

أما جرير فيصور الفرزدق طاعناً في أخلاقه، ويتهمه بالفجور والزنى، والبعد عن الإسلام، ويتهمه بابتعاده عن الصلاة لعدم طهارته فهو دائما في رجس، ويمنعه من الاقتراب من الأماكن المقدسة حتى لا يدنسها، فهو لا يكترث بالمحرمات،فقد نسبه إلى تغلب واتهمه بالنصرانية، قائلاً:[2]

إنَّ الفّــرزدَقُ حِــينَ يــدخُلُ مَــسجِداً رِجــسٌ فَلَــيسَ طَهُــوره بِطَهُــورِ

إنَّ الفَــــرزدَق لا يُبــــالِي مَحرَمــــاً وَدَمَ الهــــديِّ بــــأذرُعٍ وَنُحُــــورِ

رَهــطُ الفــرَزدقِ مــن نــصارَى تَغلــبٍ أَو يَــــدَّعي كَــــذباً دَعــــاوَةَ زُورِ

حُجُّــوا الــصَّليبَ وَقَرّبــوا قربــانكم وَخُــذُوا نَــصيبكُمُ مــن الخنزيــرِ

([1]) حاوي، إيليا، **فن الهجاء وتطوره عند العرب**، مرجع سابق،ص390.

([2]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق ص 193، 194.

وأيضاً يقول في هذا المعنى، ساخراً منه بل شاتماً له وواصفاً إياه بارتكاب كل محرم، بعيداً عن كل إحسان، وينعته بأنه لم يحج ولم يقترب من بيت الله الحرام، وأن دينه ليس قوياً بحيث يغير دينه الإسلامي ويتنصر لقاء درهم من المال، يقول: [1]

ألا قَـــبَحَ اللهُ الفـــرزدقَ كُلَّمـــا أَهـــلَ مُـــصلٍ بالـــصلاةِ وَكَبَّـــرا

فَـــلا يَقـــرَبَنَّ المَـــروَتَيْنِ وَلا الـــصَّفا ولا مـــسجِدَ اللهِ الحَـــرَامِ المُطهَّـــرا

فإنَّـــكَ لـــو تُعطِـــي الفـــرزدقَ دِرهمـــاً علـــى ديـــنِ نـــصرانيَّةٍ لتَنَـــصَّرَا

وقد تأثر جرير بالقصص القرآني، ويظهر ذلك من خلال وصف الفرزدق وقومه بقوم ثمود، الذين جلبوا لأنفسهم الخراب، وأهلكوهم بما كانوا يعملون، قائلاً: [2]

وشَـــبَّهتَ نفـــسَكَ أشـــقَى ثَمُـــودَ فقـــالُوا : ضَـــلِلْتَ ولـــم تَهتـــدِى

وقـــد أُجَّلُـــوا حـــين حَـــلَّ العـــذابُ ثـــلاثَ ليـــالٍ إلـــى المَوعـــدِ

وفي تصوير جرير للفرزدق ينطلق من الواقع، فلم يكن الفرزدق صاحب دين فصورة المهجو هنا، صورة المسلم الخارج عن الحدود في دينه، بل إنه يتهمه بما هو أنأى من ذلك، إذ يوهم أنه غالى في التأثم والرجس حتى إنه وإن يتطهر فلا يطهر الفرزدق.

ثم إن اتهامه بدينه يسفر عن تقبيح عمله، ويلعنه جرير لامتناعه عن الصلاة والتسبيح وينفيه عن الإسلام، ويمنعه من مقاربة الصفا والمروة والحجر الأسود والمسجد الحرام، فالفرزدق يدعي الإسلام، وليس بمسلم، إذ تنجس بالزنى والخمرة، وأقام على حياة الكفرة والزنادقة بل انه ليتجر بدينه ويتحول عنه بدريهمات قليلة ويتنصر.

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق ص 248

([2]) **المصدر نفسه**، ص 128

لقد كان لذكر جرير للفرزدق وتصويره المهجو بهذه الصورة في مواقع متعددة من قصائده في رسم صورة لمهجوِّه، معنى واحد أصيل تفرع من فروع متعددة في المظاهر الدينية وهو الغلو والإسهاب والإطالة، فجرير ينطلق من فكرة مكررة ثم يطيل بها ويفترض افتراضات وتأويلات حتى يثبتها ويقنع بها المتلقي ويوهمه بها مشوها صورة مهجوه الفرزدق ، ونأخذ في ذلك برأي (**إيليا حاوي**) وبقوله: " وكان دأبه (**جرير**) بالرغم من أنه يتعرض له في دينه إلا أنه سرعان مايتهمه بالكفر ويحرص على منعه من ولوج المساجد لئلا يصيبها بالرجس ، فهو لا يتحرّم بحرمة، ولا يتطهر بطهور، وهذا المعنى استجد في هجائه إذ بات يتخذ من الإيمان والحد بالدين مادة لهجائه".[1]

أما الفرزدق الذي يهجو جريراً بشكل مباشر، فجرير هو الذي جر المخزيات والعار على كليب، ولم يكتف بهذا بل جر عليهم الموت أيضاً كناقة ثمود، حيث يقول متأثراً بالقصص القرآني:[2]

جَـــرَّ المُخزيـــاتِ عَلَـــى كُليـــبٍ جَرِيـــرٌ ثُـــمَّ مـــا مَنَـــعَ الـــذِّمارَا

وَكَـــانَ لَهُـــم كَبَكَـــر ثَمُـــودَ لَمّـــا رَغَـــا ظُهـــراً ، فـــدمَّرَهُم دَمَـــارَا

وكذلك يشبه جريراً بأنه جالب الخراب إلى قومه ببكر ثمود، قائلاً في نفس المعنى:[3]

وَكَـــانَ جَريـــرٌ علـــى قومِـــهِ كبكـــرِ ثَمُـــودٍ لهَـــا الأنكَـــدِ

([1]) حاوي، إيليا، **فن الهجاء وتطوره عند العرب**، مرجع سابق ص 390.

([2]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 307، **المخزيات**: الواحد مخزية العار، **الذمار**: ما لا ينبغي انتهاكه

([3]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 158.

رَغَـــــا رَغـــــوَةً بمنايـــــاهُمُ فَـــصَاروا رَمَـــاداً مـــع الرَّمـــددِ

ويصور الفرزدق جريراً بأنه عاق لوالديه، لم تحمل أم أعق منه على مر الأزمان، يقول: [1]

وَمَـا حَمَلَـت أُمُّ امـرئٍ فـي ضُـلُوعِهَا أَعَـقَّ مـن الجـانِي عَلَيَهـا هِجَائِيَـا

ويصف الفرزدق وهن وضعف بيت ونسب جرير الذي يشبه في ضعفه بيت العنكبوت وذلك في قوله متأثراً بالقرآن الكريم:[2]

ضَـرَبَت عَلَيـكَ العنكبـوُتُ بِنَـسجها وَقَـضَى عليـكَ بـه الكتَـابُ المُنـزَلُ

ويظهـر ذلـك فـي قولـه تعـالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ " [3].

فقد وظفت التشبيهات في غرض وقد دارت حول معان ألصقها الشعراء بعضهم ببعض، ويحاول كل من الشعراء رسم صورة معينة لشخصية خصمه، فقد اعتمد شعراء النقائض على توظيف صور الحيوانات في النقائض، بما يتناسب،والصفة التي يريد إلصاقها بالآخر.

يقول جرير مصوراً الفرزدق صورة ساخرة مستهزئاً به، فجعله قرداً قصير القوائم، قبيح الوجه وقد شبهه كثيراً بالقرد في شعره، ويظهر ذلك في قوله:[4]

لقـــد ولـــدَتْ أمُّ الفـــرزدقِ فـــاجراً وجـــاءَتْ بـــوزوازٍ قَـــصيرِ القـــوائمِ

ومـــا كـــان جـــارٌ للفـــرزدقِ مـــسلمٌ ليـــأمنَ قـــرداً لَيلُـــهُ غيـــرُ نـــائمِ

وصور الفرزدق مجدداً بالقرد، وهو فاجر مستهتر، فيقول:[1]

([1]) **المصدر نفسه**، ص 654

([2]) **المصدر نفسه**، ص 490.

([3]) سورة **العنكبوت، آية** 41.

([4]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 558.**وزواز**: كثير النزوان والحركة

وأمـــسَى الفـــرزدقُ يـــا نَـــوارُ كأنَّـــهُ قـــردٌ يَحُـــثُّ علـــى الزِّنـــاءِ قُـــرودا

ويقول في موضع آخر ساخراً من صورة الفرزدق:[2]

وهـــل كـــانَ الفـــرزدقُ غيـــرَ قـــردٍ أصـــــابتهُ الـــــصَواعِقُ فاســـــتَدَارَا

فيقرن جرير الفرزدق بالقرد لشدة عبثه و مجونه ولسوء منظره،قرد أصاب الشيب أصول حنكيه، إذ يقول:[3]

أرى الـشيبَ فـي وجـهِ الفـرزدقِ قَـدْ عَـلا لهـــازمَ قـــردٍ رنَّحَتـــهُ الـــصَّواقعُ

ويقول جرير مصوراً والد الفرزدق بحوض الحمار، وذلك لأن والد الفرزدق كان يلعب بحوض الحمار، إذ كان أفسأ داخل الصدر، خارج الخثلة، فكان يقال له **(حوض الحمار)**، والخثلة مابين السراة إلى العانة:[4]

وشـــبَّهت نفـــسَك حُـــوقَ الحِمـــارِ خبيـــــــثَ الأَورايِّ والمِـــــــرودِ

ويصور جرير تباطؤ مجاشع في نصرة الزبير بن العوام، ببغل أثقلته المتاع، فأبطأ في المشي، قائلاً:[5]

مـــن كـــلِّ مُنـــتَفَخِ الوريـــدِ كأنَّـــهُ بغـــلٌ تقـــاعسَ فوقـــَهُ خُرجـــانِ

أما الفرزدق يقول هاجياً جريراً، فوصفه بالكلب الجبان الذي ينبح من وراء الدار:[6]

يُهـــدِي الوَعيـــدَ ولا يَحُـــوطُ حريمَـــهُ كالكلـــبِ ينـــبَحُ مـــن وراءِ الـــدّارِ

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 172.

([2]) **المصدر نفسه** ص 281، **استدار**: أي صار إنسان بعد أن كان قردا

([3]) **المصدر نفسه**، ص370، **رنحته**: أدارت رأسه حتى سقط

([4]) **المصدر نفسه**، ص 128

([5]) **المصدر نفسه**، ص 571

([6]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 278.

وقد تأنق الفرزدق بعرض صوره الساخرة مصوراً جرير وتقدمه بالسن،بالحمار يختلف عن غيره من الحمير، إنه حمار بلحية، حيث يقول:[1]

رَأَيــتُ ابــنَ المرَاغَــةِ حــينَ ذَكَّــى تَحَــوَّلَ غيــرَ لحيتِــهِ حِمَــارَا

وقد أعجب الفرزدق بهذه الصورة، فأخذ يزين ويلون بها، قائلاً:[2]

وَلاَ ينفــكُّ يَنْهَــقُ فــي طَريــقٍ كُليبِــيٌّ عَلَيــهِ مَزَادَتَــانِ

ويصور الفرزدق بني كليب،بالدويبة الصغيرة التي لا شأن لها ولا قوة، حيث يقول:[3]

وإنَّ بَنِــي كُليــبٍ ،إذ هَجَــوني ، لَكَــا لجِعــلانِ إذ يَغْــشَين نَــارَا

ويصورهم أيضاً بالحمير، يجارون أفراس قومه، قائلاً:[4]

فإنَّــك والرِّهــانَ عَلَــى كُليــبٍ لكــا لمجــرِي مَــعَ الفَــرَسِ الحِمَــارَا

أما الأخطل فيصور جريراً باليربوع، وهو حيوان صحراوي يشبه الضب، إذ يصوره وهو يضم يديه إلى صدره إذا مشى، وهم يطاردونه، فيكثر من الانتقال من جحر إلى آخر، حتى يدخل القاصعاء ثم يسد عليه هذا الجحر،حتى يخرج راغماً من الجحر الثاني، فيمسك به، أو يموت فيها جوعاً، قائلاً:[5]

ومــا اليَرْبــوعُ مُحْتــضِناً يديَــهِ بمُغْــنٍ عَــنْ بَنــي الخطَفَــى قِبــالا

([1]) **المصدر نفسه**، ص 309، **ذكى**: كبر وأصبح مسنا

([2]) **المصدر نفسه** ص632، **مزادتان**: جلود يضم بعضها الى بعض ويوضع فيها الماء

([3]) **المصدر نفسه**، ص307. **الجعلان**: الدويبة الصغيرة

([4]) **المصدر نفسه**، ص309.

([5]) الأخطل، **ديوانـه**، مصدر سابق،ص249،**القاصـعاء** الحفرة الأولى،**النافقـاء**: الحفرة الثانية،**الراهطـاء**:الحفرة الثالثة،**الداماء**:الحفرة الرابعة

تَـــسُدُّ القاصِـــعاءَ علَيْـــهِ حتـــى تُنَفِّـــقَ أوْ يمـــوتَ بهـــا هُـــزالا

ويقول مصوراً والده وهو يرعى الغنم ولابساً عباءته، بالبعير الأجرب، وقد زاده هذا ألماً بأنه أُبعد عن أقرانه عنوة خوفاً من العدوى، وتُرك وحيداً في الفيافي، فيقول مُحقراً من شأنه:[1]

وأبـــوكَ ذو مَحْنيّـــةٍ وعبـــاءةٍ قَمِـــلٌ كـــأجْرَبَ مُنْـــتَشٍ مَـــوْرودِ

ويشبه أم جرير بالدابة التي يشد صاحبها السراج عليها،استعداداً للجري في رهان السباق، في كل هذا نيل من صورة المهجوِّ جرير لمزيد من الإهانة والتحقير، قائلاً:[2]

ولَقَـد شـدَدتَ علـى المَراغَـةِ سَـرْجَها حتّـى نَزَعْـتَ وأنْـتَ غيَـرُ مُجيـدِ

أما جرير فقد هاجم الأخطل وسخر منه، وقد شبهه كثيراً بالخنزير في نقائضه، وذلك ليدل على سلوكه القذر ودناءة نفسه، حيث يقول:[3]

ألـم تـرَ قيـساً قـيسَ عـيلانَ دمَّـروا خنـــازيرَ بـــين الـــشرعبيَّةِ والـــدَّربِ

لعلَّـكَ يـا خنزيـرَ الكُناسـةِ فـاخرٌ إذا مـضرٌ منهـا تـسامَى بنـو الحـربِ

ويقول أيضاً مصوراً إياه بالخنزير: [4]

إنَّ الأخيطـلَ خنزيـرٌ أطـافَ بـه إحـدى الـدَّواهي التـي تُخـشى وتنتظـرُ

وكذلك يصور جرير بني تغلب تصويراً ساخراً، حيث يشبههم بفراخ الحباري المروعة عند فرارهم من المعركة، فتصطادها صقور قومه، ممعناً في تصويرهم بالخوف والجبن قائلاً:[1]

([1]) **المصدر نفسه**،ص88.**محنية**:علبة من جلودالإبل،**منتشى**:مباعد لجربه،**مورود**: وردته الحمى

([2]) **المصدر نفسه**، ص88، **غير مجيد**: لايملك جواد

([3]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 59، 60.

([4]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص260

اللهُ فـــــضَّلنَا وأخـــــزَى تغلبـــــاً لـــن تـــسطيعَ لِمـــا قَـــضَى تغييـــرا

وكـــأنَّ تغلـــبَ يـــومَ لاقَـــوا خيلَنـــا خربـــانُ ذي حُـــسُمٍ لَقِـــينَ صُـــقورَ

([1]) **المصدر نفسه**، 291، 292، **خربان**: جمع خرب، وهو ذكر الحباري، **ذي حسم:** وهو واد

صورة المهجوِّ من خلال مهنته:

لقد كان حضور البداوة واضحاً في المجتمع الأموي، وخصوصاً في النقائض التي كانت مليئة بمفاخر الجاهلية كالفخر بالأنساب والأحساب والأيام، وكذلك أصحاب المهن والحرف لم يكتسبوا المكانة العالية، بل كانوا موضع سخرية وتحقير، لأن الذي كان يقوم بالصناعات هم العبيد والطبقة الدنيا من هذا المجتمع،وهذا ما وجد فيه شعراء النقائض مجالاً لتعيير خصومهم به، فيعير جرير الفرزدق بمهنة القيون التي كان أهله يحترفونها، ويدعوهم بكل قصائده بهذه السمة، فهي من أكثر المضامين الشعرية وروداً في نقائضه، فقد تبين أن مصدر الصورة جاهلي استمده جرير من صورة نافخ الكير، وإمعاناً في تشكيل صورة المهجو يكلف جرير زوجة الفرزدق **(حدراء)** التي تنكر ريح زوجها، وما ظهر على جسمه القصير من صدأ الحديد، ويطلب منها الفرزدق أن تصلح ما فسد من الأكيار بترقيعه، وجرير يدافع عنها بأنها لا تجيد ذلك، لأن أجدادها من أشراف العرب، فهم ليسوا كأجداده مهنتهم الحدادة، فهي تناجي ربها أن يخلصها من هذا الحداد المنتن كريه الرائحة، قائلاً:[1]

حَـــدراءُ أنكَـــرت القُيُـــونَ وَرِيَحهُـــم والحـــرُّ يَمنـــعُ ضَـــيمهُ الإنكـــارُ

لَمـــاَّ رَأت صَـــدَأَ الحَدِيـــدِ بِجِلـــدهِ فـــاللَّونُ أَورَقُ، والبنـــانُ قـــصارُ

قـــالَ الفـــرزدقُ: رقِّعـــي أكيارَنـــا قالـــت :وَكيـــفَ ترقَّـــعُ الأكيـــارُ

رقِّـــع متَاعـــكَ ،إنَّ جـــديِّ خالـــدٌ والقـــينُ جـــدُّكَ،لم تلـــدكَ نـــزارُ

وَسَـــمعتُها اتَّـــصلت بـــذُهلِ إنَّهـــم ظلمُـــوا بـــصهرِهم القيـــونَ وجـــاروا

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 202.

ويسخر من الفرزدق بأنه قين، فلا عمل يجيده سوى القيانة، حيث يقول: [1]

وإنّــكَ يــا ابــنَ القــينِ لــستَ بنــافخٍ بكيــــركَ إلا قاعـــداً غيـــرَ قـــائمِ

ويقول جرير هاجياً الفرزدق بجدوده، ومعيرهم بالحدادة رغم أنها ليست عملهم، وأصبح يتحدث عنها في شعره، حيث يقول: [2]

وأنــتَ ابــنُ قــينٍ يــا فــرزدقُ فــازدهِر بكيـــركَ ، إنَّ الكيـــرَ للقـــينِ نـــافعُ

فإنَّـــكَ إن تَـــنفُخ بكيـــرِكَ تَلقَنـــا نَعِـــدُّ القنَـــا والخيـــلَ ، يَـــومَ نُقـــارِعُ

يقـولُ لَلَيلـى قـينُ صعـصِعةِ : اشـفَعِي وفِيمـــا وراءَ الكيـــرِ للقـــينِ شـــافعِ

ويصور لنا جد الفرزدق الذي دفنت معه أدوات الحدادة، ثم يصور الناس وقد انكسر لأحدهم قدر أو مرجل فيتذكروه لأنه كان يقوم بإصلاحها: [3]

ســـنثيُر قيـــنكمُ ، ولا يُـــوفَي بهـــا قـــينٌ بقارِعـــةٍ المقـــرِّ مُثـــارُ

وجـــد الكتيـــف ذخيـــرة فـــي قبـــره والكلبتـــان جمعـــن والميـــشار

يَبكِـــي صـــداهُ إذَا تَهـــزَّم مرجـــلٌ أو إن تـــثلّمَ بُرمـــةٌ أَعـــشارُ

ويسخر جرير من الفرزدق ومن مهنة جده، واصفاً ذلك بأسلوب فكاهي، حيث يقول ذاكراً أدوات الحدادة، وهي :**(الكير والعلاة والمرجل والقدوم والكلبتان والحمم)** [4]

وفـــازَ الفـــرزدقُ بـــالكلبتينِ وعـــدلٍ مِـــنَ الحمـــمِ الأســـودِ

فَرقِّـــع لجـــدِّكَ أكيـــارَهُ وأصـــلح متاعَـــكَ لا تُفـــسدِ

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 560.

([2]) **المصدر نفسه** ص 370، **ازدهر**: استمسك

([3]) **المصدر نفسه**، ص202، **تهزم**: تصدع، **أعشار**: قدراً كانت أعشار مكسرة

([4]) **المصدر نفسه**، ص130

وأدن العـــــــلاةَ وأذنِ القُـــــــدومَ ووسِّـــعَ لِكيـــرِكَ فـــي المقعـــدِ

ويرى **د.(محمد محمد حسين)**"أن هجاء جرير للفرزدق يدور حول ما يزعم من أن أجداده كانوا يحترفون الحدادة، فكل صوره من النار والحديد والشرر والدخان والكير وأدوات الحدادة والرقيق الذين يتخذون لهذه الصناعة"[1].

أما الفرزدق فقد هاجم جريراً ووالده، ولم يسلما منه حيث يعيرهما بأنهما يرعيان البهم، قائلاً:[2]

تَبكِـي المَرَاغَـةُ بالرَّغـامِ علـى ابنِهـا والنَّاهِقَـــاتُ يـــنحنُ بـــالإعوَالِ

سُـــوقي النَّواهـــقَ مأتَمـــاً يبكينَـــهُ وَتَعَرضَّـــي لِمُـــصَاعِدِ القُفَّـــالِ

فـــاجمع مَـــسَاعِيكَ القِـــصَارَ وَوَافِنِـــي بِعُكَـــاظَ يـــا ابـــن مُرَبِّـــقِ الأحمَـــالِ

ويقول الفرزدق بأنه لا يحق لوالده إلا رعي البهم والجداء، حيث يقول هاجياً:[3]

وَتَـــرَى عَطيَّـــةَ والأتَـــانُ أَمَامَـــهُ عَجِـــلاً يَمُـــرُّ بِهَـــا علـــى الأمثَـــالِ

وَيَظَـــلُّ يَتـــبعُهُنَّ وَهَـــو مُقرمِـــدٌ مـــن خَلفِهـــنَّ كأنَّـــهُ بِـــشِكَالِ

وَتَـــرَى علـــى كَتِفَـــي عَطَيَّـــةَ مـــائِلاً أرباقَـــهُ عُـــدِلت لـــهُ بِـــسخَالِ

ورعي الأغنام والحمير تشارك فيه نساء كليب، فهذا الأمر لا يتوقف على الرجال من بني كليب حيث يقول: [4]

كـــم خَالـــةٍ لـــكَ يـــا جَريـــرُ وَعَمَّـــةٍ فَـــدعاءَ قَـــد حَلَبَـــت عَلَـــيَّ عِـــشَارِي

([1]) حسين، محمد محمد، **الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام**،مرجع سابق،ص136

([2]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 497، 498

([3]) **المصدر نفسه**، ص501، **مقرمد:** تقارب الخطوات، **سخال:** سخل، الحمل

([4]) **المصدر نفسه**، ص312، **فدعاء:** خروج مفصل الإبهام مع ميل في القدم

"وهجاء الفرزدق لجرير يدور حول فقرهم واصطناعهم الحمر في تنقلهم، وهو دليل الذلة، لأن السادة يركبون الخيل والإبل"[1].

وهاجم الأخطل جريراً وعيره بمهنة والده، بأنه كان يرعى الماشية مع سائر الرعيان، ويرتدي الأردئة الحقيرة، يقيم في بيته الذليل الحقير، ويطعم أولاده لحماً رديئاً فاسداً، وأكبر همه أن يمتلك حبلاً يقود به البهم، حيث يقول: [2]

فـــي دارِمٍ تـــاجُ الملـــوكِ وصِـــهرُهَا أيَّـــامَ يَربـــوعٌ مـــع الرُّعيـــانِ

مُتَلَفِّـــفٌ فـــي بُـــردةٍ حَبقِيَّـــةٍ بفنـــاءِ بَيـــتِ مَذَلَّـــةٍ وهَـــوانِ

يَغـــذو بَنِيـــهِ بثَلَّـــةٍ مَذمومَـــةٍ ويكـــونُ أكبـــرَ همِّـــهِ رِبْقـــانِ

ويتمادى الأخطل بتصوير والد جرير، الراعي ويهزأ بمهنته الذي كان يعتصم بعباءته ومزادته، وهو مبعد عن قومه كالبعير الأجرب، حيث يقول: [3]

وإذا عَـدَدْتَ بُيـوتَ قَوْمـكَ لـمْ تجِـدْ بَيْتـاً كبَيْـتِ عُطـارِدٍ ولَبيـد

بَيْـتٌ تَـزِلُّ العُـصْمُ عَـنْ قَذَفاتِـهِ فـي شـاهقٍ ذي مَنْعَـةٍ و كَـؤودِ

وأبـوكَ ذو مَحْنيّـةٍ وعبـاءةٍ قَمِـلٌ كـأجْرَبَ مُنْـتَشٍ مَـوْرودِ

لقد أحب العرب قيم الرجولة من شجاعة ومروءة وتفاخروا بها، لذا كان الجبن والتخاذل والذل والهوان مادة الهجاء الساخر،ونجد أن شعراء النقائض قد هاجموا به خصمهم وقومهم، ولا سيما فيما يتعلق بالهزائم والحروب التي دارت بينهم، في حين يعتمد أسلوبهم على التقرير والمباشرة، ومن ذلك قول جرير هاجياً الأخطل، ومعيراً إياه بالذل والهوان والجبن، إذ يفسر لنا بكاءه بسبب

([1]) حسين، محمد محمد، **الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام**، مرجع سابق،ص137

([2]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق،ص162، **حبقية**: بالية، **ثلة**: اللحم الرديء، **ربقان**: لاحبل يشد به عنق البهم.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 88، **قذفاته**: موضع يزل عنه، **العصم** :الوعول

الذل والهوان الذي طبع عليه، ولا يكتفي بذلك، حيث يعير الأخطل ووالدته بانتمائهم الديني، وأنهما من أهل الذمة الذين ختم على رقابهم تمييزاً لهم من الآخرين، قائلاً:[1]

بكَـــى دوبـــلٌ لاَ يرقِـــئُ الله دَمعـــهُ أَلاَ إنَّمـــا يبكـــي مـــن الـــذُّلِّ دَوبَـــل

جزعـتَ ابـنَ ذاتِ الفلـسِ لمَّـا تـداركت مِـــنَ الحـــربِ أنيـــابٌ عليـــكِ وكَلكَـــل

ويستمر جرير في هجائه للأخطل، إذ يصور جبنه وحالة الهلع التي أصيب بها، وبسببه أصبحت تختلط عليه معرفة حقائق الأمور، وخرج به إلى التوهم، وأصبح يتخيل بسبب هلعه أن كل شيء يطارده، قائلاً:[2]

حَمَلـت عليـكَ حمـاةُ قـيسٍ خيلَهـا شُـــعثاً عـــوابسَ تَحمـــلُ الأبطـــالاَ

مازلـتَ تَحـسبُ كُـلَّ شـيءٍ بَعـدَهُم خَـــيلاً تَـــشُدَّ علـــيكُمُ ورِجـــالا

قـــالَ الأَخيطـــلُ إذ رأَى رايـــاتِهِم يـــا مـــارَ سَـــرجِسَ لا نُرِيـــدُ قِتـــالا

ويصور جرير خصمه الأخطل في ساحات الوغى حين احتدم القتال، وقد خر صريعاً على الأرض من غير حراك، ثم صاح صياح الذليل الذي أعيته أوزار الحرب، وأنهكه الرعب فشد بصوته الأنظار إلى نفسه، بصورة الموتى عندما يبعثون من قبورهم وهم يصرخون من هول الموقف، قائلاً: [3]

كَانـت وقـائِعُ قُلنـا لَـن تُـرىَ أبـداً مِـــن تَغلـــبٍ بعـــدَها عَـــينٌ ولا أَثَـــرُ

حَتَّـــى سَـــمعتُ بخنزيـــرٍ ضَـــغاَ جزعـــاً مـــنهم فقلـــتُ أَرى الأَمـــوات قـــد نَـــشَرُوا

([1]) جرير، **ديوانه** مصدر سابق، ص455، 456. **الفلس:** الطابع من الرصاص يختم به رقاب أهل الذمة

([2]) **المصدر نفسه**، ص451.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 260،261 .

ويقول جرير أيضاً معيراً الأخطل بهزيمة نكراء، فهو لا يغار على المحارم، ولا يثأرلهن، فيرسم صورة ساخرة لما لاقته نساء بني تغلب من التنكيل، إذ ترى الحبالى منهن يضعن حملهن في غير أوانها من شدة الحرب، وتجد أخرى قد شق بطنها، وهي تلفظ آخر أنفاسها ناظرة الى ولدها الذي رمي به عند رجلها، وثالثة تدعو على نفسها إذ تسبى بنتها على مرأى ومسمع منها، وتسمع من جانب آخر امرأة مفجوعة تصيح بالعويل على فقيدها وإصابة زوجها لتعيد الأخطل لصوابه، وتحوله برده عن التمادي في موقف لا يصلح فيه إلا الجد، حيث يقول: [1]

فَقَد قَذَفت من حربِ قيسِ نساؤُكم بأَولادنا منها تمامٌ ومعجلُ

وَمقتولةٌ صبراً تَرى عندَ رِجلِها بقيراً وأُخرى ذاتُ بعلٍ تولولُ

تقولُ لكَ الثَّكلى المُصابُ حَلِيلُها أبا مالكٍ مافي الظَّعائِنُ مَغزَل

ويستمر جرير معيراً قوم الأخطل بهزيمتهم في يوم رحوب، مستخدماً نساءهم للشماتة بهن في هزيمة قومهن في المعارك، فيصور نساء تغلب، والذعر الذي أصابهن نتيجة فزعهن، وأصوات الصياح والبكاء ترتفع نتيجة هذا الموقف العظيم، فالخوف مسيطر على القلوب، والتغلبي خائف من ظله وسواده ظنا منه أنه فارس مقدام، ونساء تغلب تخرج محاربات مسرعات كالنعام، ويرقصن خوفاً من أخذهن سبايا، رقصهن هنا مرتبط بالحركة السريعة التي يمتلكها فراخ النعام في العدو، حيث يقول: [2]

تركَ الفوارسُ مِن سُلَيمٍ نسوةً عُجلاً لَهُنَّ على الرَّحُوبِ عَوِيلُ

إذْ ظَلَّ يَحسبُ كُلَّ شخصٍ فارساً وَيَرَى نعَامَةَ ظلِّه فَيَحُولُ

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص456، **البقير**: الذي بقر بطن أمه وأخرج، **المعجل**: الذي رمت به من غير علة، **المغزل**: من المغازلة واللعب

([2]) **المصدر نفسه**، ص475، 476. **يوم رحوب**: كان بين قيس وتغلب وانتصرت فيه قيس على تغلب، **الرئال**، فراخ النعام،

رَقَــصت بِعاجَنـــة الرحـــوبِ نـــساؤُكُم رَقَـــصَ الرِّئـــالِ ومـــا لَهُـــنَّ ذُيـــول

وكذلك يهجو جرير قوم الأخطل مستغلاً هزائمهم في بعض المعارك ليصفهم بالضعف والهوان وعدم القوة ويعيرهم بيوم البشر، وما حل بتغلب من هزيمة وعار، قائلاً:[1]

سَــما لَكــم الجحَّــافُ بالخيــلِ عَنــوةٌ وأنـــتَ بِـــشَطِّ الـــزَّابيينِ تَنَـــوَّح

عَلَـــيهِم مُفاضـــاتُ الحديـــدِ كأنَّهـــا أضـا يَـومَ دَجـن فـي أَجاليـد ضَحـضَح

وظـــلَّ لَكُـــم يَـــومٌ بـــسنجارَ فاضِـــحٌ وَيـــومٌ بأعطـــانِ الرَّحُـــوبينِ أَفـــضَحُ

أما الأخطل فيقول هاجياً جرير وقومه ويعيرهم بأنهم لا يغارون على عرضهم وشرفهم، فهم يهربون من المعارك دون نسائهم، قائلاً:[2]

يـــوْمَ الكُـــلابِ وقَـــدْ ســـيقَتْ نـــساؤهُمُ سَـــوْقَ الجلائـــبِ مِـــنْ عُـــونٍ وأبكـــارِ

وهم جبناء لا يكترثون لدماء قتلاهم ولا يثأرون لهم، قائلاً:[3]

لا يثْـــأرون بقـــتَلاهُمْ إذا قُتلـــوا ولا يكُـــرُّون يوْمـــاً عِنْـــدَ إجْحـــارِ

ولا يزالـــونَ شـــتى فـــي بيُـــوتهِمِ يَـــسْعُونَ مِـــنْ بَـــينِ مَلْهـــوفٍ وفَـــرّارِ

أَلَّا كفَيْـــتُمْ مَعَـــدّاً يـــوْمَ مُعْـــضِلَةٍ كمـــا كفَينـــا معـــدّاً يـــومَ ذي قـــارِ

إن هذه الصور المشخصة لصور المهجو، إنما هي من صور الهجاء الشخصي بحسب رأي **د. (محمد محمد حسين)** " فالهجاء الشخصي يعتمد على مهاجمة الأفراد، وهو أقدم أنواع الشعر الهجائي، وهو في معظم الأحيان متأثر بالأهواء الشخصية بعيداً عن العدل والإنصاف، لأنه

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص112، **أضى:** الغدران ، **ضحضح من الأرض:** يكون فيه ماء رقيق

([2]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق،ص144

([3]) **المصدر نفسه**، ص 143،144**إجحار**:انهزموا

لايرتقي إلى مشكلات الحياة العامة ، فهو أقرب إلى السباب وأدنى إلى أن يتورط في الفحش " [1]، ويستمر الأخطل بهجاء قيس وجرير، ويعيرهم بأنهم لا يستطيعون حماية المستجير بهم،ويصور قوم جرير بالجبن، وعدم مقدرتهم على حماية المستجيرين بهم، وبذلك يجردهم من المروءة وشهامة العربي، وينزل عنهم ثوب القيم العربية، فيقول:[2]

مـــا زالَ فينـــا ربـــاطُ الخَيْـــلِ مُعْلَمـــةً وفـــي كُلَيْـــبٍ ربـــاطُ الـــذُّلّ والعـــارِ

النّـــازلينَ بـــدارِ الـــذُّلّ إنْ نزلـــوا وتَـــسْبَيحُ كُلَيْـــبٌ مَحْـــرَمَ الجـــارِ

ويصور الأخطل جبن جرير، فيجعله راعياً هزيلاً يقوم برعي قطيع من الحمير، ولا يستطيع أن يزاحم أحداً، ولا يمتلك الجرأة على الاقتراب من الماء، وكلما أراد الاقتراب من الماء يقذف فيه إلى الخلف لينتظر، وبالتالي لا يستطيع أن يروي قطيعه، قائلاً:[3]

ألمـــانِعينَ المـــاءَ حتـــى يَـــشْرَبوا عِفَواتِـــــهِ ويُقَـــــسّموهُ سِـــــجالا

وابـــنُ المَرَاغَـــةِ حـــابسٌ أعيْـــارَهُ قَـــذْفَ الغَرِيبَـــةِ مـــا يَـــذُقْن بِـــلالا

يمثل شرف المرأة قيمة عليا من قيمهم، والدفاع عنها يعد شرفاً ومجداً، فالإنسان العربي يبذل كل ما في وسعه من أجل صون حرائره، والمساس بها يعني النيل من شرف القبيلة، حيث يعد تقاعس الرجال عن حرائرهم عاراً ما بعده عار، فالفرزدق يعير جرير وقومه بأنهم لا يستطيعون حماية نسائهم من أيدي الأعداء، وهن يستغثن بهم حيث يقول: [4]

([1]) حسين، محمد محمد، **الهجاء والهجاؤون في الجاهلية**، مرجع سابق، ص23.

([2]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ص143.

([3]) **المصدر نفسه**، ص255.**السجال:** الدلو الكبير وفيه ماء، **الغريبة:** الناقة الغريبة عن الإبل، **بلال:** الماء القليل.

([4]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 362، 363

وَلَـــم تَمنعُـــوا يـــومَ الهُـــذيلِ بَنَـــاتِكُم بَنِـــي الكَلَـــبِ، والحـــامِي الحَقيقَـــةَ مَـــانِعُ

غَـــدَاةَ أتـــت خَيـــلُ الهـــذيلِ وراءكُـــم وَسُـــدَّت عَلـــيكُم مـــن إرَابَ المَطَـــالِعُ

هُـــمُ قـــارعُوكُم عـــن فـــروجِ بنـــاتِكُم ضـــحىً بـــالعوالي والعـــوالي شـــوارِعُ

فبـــتنَ بطونـــاً للعـــضاريط بعـــدما لمعـــنَ بأيـــدِيهنَّ والنقـــعُ ســـاطعُ

إلـــيكم فلـــم تـــستنزلوا مردفـــاتِكُم ولـــم تلحقـــوا إذ جـــرَّد الـــسيفَ لامـــعُ

بَكَـــينَ إلـــيكُم ، والرِّمـــاحُ كَأَنَّهـــا مَـــعَ القـــومِ أشـــطَانُ الجَـــرُورِ النَّـــوازِعُ

دَعَـــت يـــالَ يربـــوُعٍ ، وقَـــد حـــالَ دُونَهـــا صُـــدُورُ العَـــوَالِي والـــذُّكُورُ القَواطـــعُ

فَـــأَيَّ لحـــاقٍ تتظُـــرُونَ، وَقَـــد أَتَـــى علـــى أُمُـــلِ الـــدَّ هنَـــا النِّـــساءُ الرَّواضِـــعُ

وَهُـــنَّ رُدَافَـــى ،يَلتَفِـــتنَ إلـــيكُمُ لأســـوقها خلـــفَ الرِّجـــالِ قَعَـــاقِعُ

وكذلك يقول الفرزدق مصوراً جريراً وقومه، ويصفهم بالضعف والهوان، فهم لا يفون للجار بعهد لضعفهم وقلة حيلهم: [1]

قَـــبَحَ الإلـــهُ بَنِـــي كُليـــبٍ إنَّهُـــم لا يَغـــدِرُونَ ولا يفُـــونَ لِجَـــارِ

يَـــستيقظُونَ إلـــى نُهَـــاقِ حِمـــارِهِم وَتَنَـــامُ أَعيُـــنُهُم عـــن الأوتَـــارِ

أما جرير فقد كان يكثر في نقائضه من مهاجمة قوم الفرزدق، ويلصق بهم طبع الضعف والهوان، وعدم القوة والامتناع عن حماية الجار، إذ يقول:[2]

إذا لـــمْ يكُـــن إلاَّ قيـــونُ مُجاشـــعٍ حُمـــاةٌ عـــن الأحـــسابِ ضـــاعتْ ثُغُورهـــا

ألـــمْ تـــرَ أنَّ الله أخـــزَى مُجاشـــعاً إذا ذُكِـــرت بعـــدَ الـــبلاءِ أمورُهـــا

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق ص 311، لا**يغدرون:** لايغرون، **لايفون الجار**: لاينفعون.

([2]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 269.

بـــــــأنَّهم لا مَحـــــــرُمُ يَتَّقونَـــــــهُ وأن لا يَفـــي يومـــاً لجـــارٍ مُجِيرُهـــا

بَنـــو نخبـــاتٍ لاَ يفـــونَ بذَّمـــةٍ ولا جَـــارةٌ فـــيهم تُهـــابُ سُـــتُورها

وكذلك يرد بكثرة في نقائضه خذلان قوم الفرزدق لابن الزبير، وغدرهم به متخذاً من هذا المعنى مبيناً مثالبهم، ولكنه سرعان ما يقلب المعنى إيجابياً على قومه، فلو حل الزبير في قومه لشدوا من أزره وناصروه وتعاونوا معه في مسعاه، فيقول:[1]

أجيـــــرانَ الزَّبيـــــرِ غَرَرتُمُـــــوهُ كَمـــا اعتـــرَّ المَـــشِّبه بالـــسَّرابِ

ولـــو ســـارَ الزُّبيـــرُ فَحَـــلَّ فينـــا لمـــا يـــئسَ الزُّبيـــرُ مـــن الإيـــابِ

ويستمر جرير بتعيير الفرزدق وقومه، بأنهم لم يرعوا جوار الزبير الذي استجار بهم،ولم يحموه، قائلاً: [2]

أقـــينٌ يـــا تمـــيمُ يعيُـــب قيـــساً يَطِيـــرُ علـــى لهازمـــهِ الـــشَّرار

وقـــيسٌ يـــا فـــرزدقُ لـــو أَجـــاروا بَنِـــي العَّـــوامِ مـــا افتُـــضحَ الجـــوارُ

فمـــا رضِـــيت بـــذمتِكُم قُـــريشٌ وَمـــا بعـــدَ الزُّبيـــرِ بـــه اغتـــرارُ

وكذلك يعير الفرزدق وقومه بعدم الأخذ بالثأر، فهذه القيمة الجاهلية كانت ملازمة العربي، ويفتخر بها، إذ إن دمه مجبول بهذه العادة التي حرمها الإسلام، يقول جرير داعيا للثأر، ومعيراً الفرزدق وقومه بعدم الأخذ به:[3]

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق ص27.

([2]) **المصدر نفسه**، ص238، 239.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 268.

لَقــد نَــذَرتَ جــدعَ الفــرزدقِ جعفــرٌ إذا حُــزَّ أنــفُ القــينِ حَلَّــت نُــذُورُها

ذَوُو الحَجَــراتِ الــشَّمِّ مــن آلِ جعفــرٍ يُــسلَّمُ جانيهــا ويُعطَــى فَقيرُهــا

حيــاتُهُمُ عــزٌّ وتَبنــى لجعفــرٍ إذا ذُكِــرَت مَجــدَ الحيــاةِ قُبورهــا

أَتَنْــسون يــومى رَحرحــانَ وأُمُكُــم جَنيبَــةُ أفــراسٍ يَخُــبُّ بعيرِهــا؟

وتــذكُرُ مــابَينَ الــضِّبابِ وَجَعفــرٍ وتنــسَون قَتلــى لــم تُقتَّــل ثؤُورُهــا

ومن القيم التي تناولها الشعراء مادةً للهجاء والتعيير، طبع البخل وهو نقيض الكرم، الذي يعد من أبرز صفات العرب ويتفاخرون به، ومن أجل هذا كان البخل عيباً وعاراً ونقيصة تذل النفوس، ومن ذلك قول جرير ناعتاً قوم الأخطل بالبخل، فصورهم بصورة مضحكة، فقوم الأخطل إذا ما استضافوا الناس فإنهم يقومون بحركات تشير إلى بخلهم المتجذر، وبهربهم من واجب الضيافة، فالتغلبي البخيل إذا ما نزل به الضيف يضطرب، ويحتار ولسانه يتلعثم ويتصرف بارتباك ويكثر من الحركات العابثة، لعله يصرف نظر الضيف عن القرى، ويجد في ذلك مخرجاً للتهرب من الضيافة، يقول: [1]

والتَّغلبــيُّ إذا تَنحــنحَ لِلقِــرى حَــكَّ اســتَهُ وتَمَثَّــل الأَمثــالا

ويقول أيضاً فيهم:[2]

قَــومٌ إذا حــاولوا حجًّــا لبيعَــتهِم صــرُّوا الفُلُــوسَ وحجُّــوا غَيــرَ أبــرارِ

إذ يصور جرير تلفتهم حولهم على النقود التي خبئت بخرقة تضمها وتخفيها، فلا تكاد تظهر ويدل هذا على قلة النقود التي لم تحفظ في أكياسها الخاصة، ويدل أيضاً على أنهم قليلو

([1]) جرير، **ديوانه** مصدر سابق ص 451

([2]) **المصدر نفسه**، ص 312

الشأن لأنهم يعتمدون على الأجزاء الصغيرة من القطع النقدية، فهم ليسوا من السادة الكرام الذين يملكون القطع النقدية الكبيرة.

ولما الأخطل يهجو قوم جرير ويعيرهم بالبخل ويجعل منهم أضحوكة، فهي سمة من سمات قوم جرير حيث أنهم يمتنعون عن الضيافة التي تعتبر من السجايا الحميدة التي يفتخر بها العرب، قائلاً:[1]

قَــومٌ إذا اســتَنَبَحَ الأضــيافُ كَلــبَهُمُ قــالوا لأمّهِــمِ: بُــولي علــى النّــارِ

فتُمــسِكُ البَــولَ بُخــلاً أن تجــودَ بــهِ ومــا تَبــولُ لهُــم إلَّا بِمِقــدارِ

وتظهر في هذين البيتين صورة مضحكة، حيث جعل نارهم ضئيلة، وقد علق على هذه الصورة الساخرة **(ابن رشيق القيرواني)**، بقوله:"نسبهم إلى البخل بوقود النار لئلا يهتدي بها الضيف، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة، ورماهم بالبخل بالحطب، وأخبر عن قلة النار وإن بولة تطفئها، وجعلها بولة عجوز، وهي أقل من بولة الشابة، وصفهم بامتهان أمهم، وابتذالها في مثل هذا الحال، يدل بذلك على العقوق والاستخفاف، وعلى أنه لا خادم لها، وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء".[2]

فقد وصف جرير الأخطل وقومه باللؤم،فهذه الصفة ترد كثيراً في نقائضه، ويقول إن لؤمهم مكشوف، بل إن الأرض من شدة لؤمهم ترفض موتاهم، وتقذفهم خارجها،إذ يقول ملصقاً بهم صفة اللؤم:[3]

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق،ص143.

([2]) القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، ط5، 1981، ج2، ص 175.

([3]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 261، 262.

أحيـــاؤُهُم شَـــرٌ أَحيـــاءِ وَأَلأَمُـــهُ وَالأَرضُ تَلفِـــظُ مَوتـــاُهم إذا قُبِـــرُوا

والتَّغلبـــيُّ لَئـــيمٌ حـــينَ تَجهـــرهُ والتَّغلبـــيُّ لَئـــيمٌ حِـــينَ يُختبَـــرُ

يـــا خُـــزرَ تَغلـــبَ إنَّ اللُّـــؤمَ حـــالَفَكُم مـــادامَ فـــي مـــاردِينَ الزَّيـــتُ يُعتَـــصَرُ

ويستمر جرير بإلصاق صفة اللؤم فيهم، كما تلتصق الثياب بالجلود، ويقول إن ثيابهم التي يرتدونها لئيمة، حتى إن الإزار الخارجي الذي يرتدونه من اللؤم، فهو يشكل طبقات متعددة حول أجسادهم،حيث يقول: [1]

تَـسَربلوا اللُّـؤمَ خلقـاً مِـن جُلُـودِهمُ ثُـمَّ ارتـدوا بثيـابِ اللُّـؤمِ واتَّـزرُوا

أما الأخطل فقد تعرض لوالدة جرير، وألصق صفة اللؤم بها وبوالده، حيث يقول:[2]

أمُّ لئيمَـــةُ نَجْـــلِ الفَحْـــلِ مُقْرِفـــةٌ أدَّتْ لفَحْـــلٍ لئـــيمِ النّجْـــلِ شَـــخّارِ

لقد ذهب إلى مثل هذا **(إحسان النص)** بقوله: "وكانت صفة اللؤم تشمل جميع الصفات التي تحط من شأن الرجل في المجتمع، تشمل البخل والخسة ودناءة النفس وضعة النسب وخبث المنبت"[3] وصور الفرزدق قبيلة جرير كليب بن يربوع ،فقد هجاهم و ألصق بهم صفة اللؤم ، فهم من شدة لؤمهم يحسبون أن كل الناس غاضبون عليهم ، وقد بلغ لؤمهم وخزيهم حده الأقصى ، حيث يقول :[4]

وَتَحـــسِبُ مـــن ملائِمهَـــا كُليـــبٌ عَليهـــا النَّـــاسَ كُلَّهُـــمُ غِـــضَابَا

فَـــأَغلَقَ مـــن وَرَاءِ بَنِـــي كُليـــبٍ عَطِيَّـــةُ مـــن مخـــازي اللُّـــؤمِ بابِـــا

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 263

([2]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق،ص145.**المقرفة**: النذلة.

([3]) النص، إحسان، **حسان بن ثابت، حياته وشعره**، دار الفكر، ط3، 1985، ص 206.

([4]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 95.

بثَـــدي اللُّـــؤمِ أَرضـــعَ للمخَـــازي وَأَورَثَـــكَ المَلائِـــمَ حِـــينَ شَـــابَا

وكذلك يقول هاجياً جريراً ووالده وقومه في نقائضه بأنهم اللئام:[1]

وَشُـغلتَ عـن حَـسَبِ الكِـرَامِ وَمَـا بَنَـوا إنَّ اللئَّـــيمَ عـــن المَكَـــارِمِ يُـــشغَلُ

فَـــاللَّؤمُ يمنَـــعُ مـــنكُمُ أن تحتَبُـــوا وَالعِـــزُّ يَمنَـــعُ حُبـــوتي لا تُحلَـــلُ

ومن القيم الأخلاقية السلوكية التي هجا بها جرير الفرزدق الكذب، وقد سخر منه جرير عندما حاول أن يهدد شخصاً يدعى مربعاً بالقتل، وقد أُشتهر بجبنه، وهنا يبين جرير لنا كذب وزيف ما قاله الفرزدق من خلال تكرار كلمة **(زعم)** يقول: [2]

زَعَـــمَ الفـــرزدقُ أَن سَـــيقتُلُ مربعـــاً أَبـــشِر بطُـــولِ ســـلَامَةٍ يـــا مَربـــعُ

وَزَعَمـــت أُمَّكُـــم حَـــصاناً حُـــرَّةً كـــذباً قُفَيـــرةُ أُمُّكُـــم والقوابـــع

وَبَنُـــو قُفَيـــرَةَ قَـــد أَجـــابُوا نَهـــشَلاً باســـمِ العُبُـــودَة قِبـــلَ أَن يَتَصَعـــصَعُوا

وقوله أيضاً يلصق به صفة الكذب: [3]

كَـــذبَ الفـــرزدقُ إنَّ عُـــودَ مُجاشـــعٍ قَـــصِفٌ وإنَّ صَـــلَيبُهم خـــوَّارُ

ويخاطب جرير الأخطل بهذا الطبع مصغراً اسمه، ليحقره، يقول: [4]

مَنَـــعَ الأُخيطـــلُ أَن يُـــسَامِي قَرَمنـــاً شـــرفٌ أَجَـــبٌ وغَـــارِبٌ مَجـــزُولُ

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 493، 495.**حبوتي**: العزوة.

([2]) **المصدر نفسه**، ص348.**مربع**: لقب لراوية جرير، واسمه وعوعة،**القوابع**: قلنسوة من خوص تلبسها العجائز وأرذال الناس.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 206، **قصف**، الضعيف، **الصليب**: السيد

([4]) **المصدر نفسه**، ص474، **القرم**: الفحل، الأجب المقطوع الظهر، **البغارب**: مقدم السنام ،**مجزول** : مقطوع

ويستمر جرير بإلصاق صفة الكذب عليه، مصغراً اسمه، ويجرد بني تغلب من الشهامة والغيرة على النساء، فيقول:[1]

كَــذبَ الأُخيطــلُ مــا لنــسوةِ تَغلــبٍ حــامِي الــذِّمارِ ومــا يغــارُ حَليــلُ

والأخطل لم يلجأ إلى صفة **(الكذب)** ليصور خصميه بها أو يرد عليهما، ولعل ذلك ما اتسم به الأخطل من الوقار وكبر السن قد حالا بينه وبين كثير من المعاني التي أتيحت لجرير لأسباب كثيرة على ما يرى**(أحمد الشايب)**:**"**وما كان الأخطل يباري جريراً في مضمار السفاهة فهو المجلي فيه على حسن إسلامه، فقد هاجاه من الشعراء أكثر مما اجتمع على غيره منهم، من قبله، وفي زمانه، ومن بعده، ونالوا منه ، وعيروه بفقره، وهو إن حسبه، وضعة والده، وقلة جوده ، مما ضرَّاه بالهجاء ودفعه إلى الإكثار منه، والافتنان فيه، فثارت نفسه، وأخذ ينشر مخازي خصومه، فإن لم يجد اختلقها اختلاقاً، في صورة ساخرة، أو بذيئة، انتقاماً لنفسه، وتنفيساً من كوامن غيظه، واستجابة لمركب النقص الذي أصابه**"**[2]

ويقول جرير هاجياً قوم الفرزدق، وقد أنزل بيت مجاشع أسفل السافلين، وجعل من فناء بيتهم مكاناً دنسه وخبثه جد الفرزدق الذي كان يعمل حداداً ورجال هذا الفناء جعلهم تحت الأقدام وشبههم بالفقع، فيقول مقللاً من شأنهم:[3]

أخــزى الــذَّي سَــمَكَ الــسَّماءَ مُجَاشِــعاً وَبَنَــى بنــاءَكَ فــي الحَــضيضِ الأَســفَلِ

بَيتــــاً يُحَمِّــــمُ قَيــــنكُم بفنائِــــه دَنِــــساً مقاعــــدُهُ خَبيــــثَ المُــــدخلِ

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 475.

([2]) الشايب، أحمد،**تاريخ النقائض في الشعر العربي**، مرجع سابق، ص 231.

([3]) جرير، **ديوانـه**، مصدر سابق،ص 444، **الحضيض**: أسفل الجبل وأعلاه عرعرته، **يحمم** يدخن فيه فيسوده. **الخميس**: الجيش الجحفل.

وَلَقَـــد تركـــتُ مُجاشِـــعاً وَكَـــأَنَّهُم فَقَـــعٌ بَمدرجـــةِ الخَمـــيسِ الجَحفـــلِ

وكذلك يقول جرير واصفاً مجاشع بصورة أخرى من صور الجبن لأهل الفرزدق، وينعتهم بعدم الشجاعة حين اللقاء، فلاهم قادرون على حمل السلاح وضرب القنى، ولا باستطاعتهم ركوب الخيل وقيادتها وتوجيهها الوجه الصحيحة، يقول:[1]

فَمـــا صَـــدَقَ اللَّقـــاءِ مُجاشـــعيٌّ وَمَـــا جَمَـــعَ القنـــاةَ مَـــعَ اللِّجـــام

تُوَلَّـــونَ الظَّهـــورَ إذا لُقيـــتُم وتـــدنونَ الـــصَّدُورَ مِـــن الطَّعـــامِ

ويقول جرير معيراً الفرزدق، وقد سخر منه بحادثة نبو السيف من يده، عندما أراد أن يقتل أسيراً رومياً، فما من نقيصة إلا ويعير الفرزدق بذلك، قائلاً: [2]

وَهُـــنَ الفَـــرزدقُ يـــومَ جـــرَّبَ سَـــيفهُ قَـــينٌ بـــه حُمَـــمٌ وآمِ أَربـــعُ

أخزيـــتَ قومـــكَ فـــي مقـــامٍ قُمتَـــهُ ووجـــدتَ ســـيفَ مُجاشـــعٍ لا يَقطَـــعُ

ويعيره كذلك بحادثة طرده من المدينة المنورة، الذي نفاه الخليفة عمر بن عبد العزيز لفحشه وقلة ورعه، فيقول ساخراً:[3]

نفـــاكَ الأغَـــرُّ ابـــنُ عبـــد العزيـــزِ بحقـــكَ تنفـــى عـــن المـــسجدِ

تقـــولُ نـــوارُ فـــضحتَ القيـــونَ فليـــتَ الفـــرزدقَ لـــم يولـــدِ

أما الفرزدق فقد هجا قبيلة جرير كليب محاولاً التقليل من شأنها، مستخدماً صورة يستهزئ بها من وضاعة نسبه، فهم أقل احتراماً من اليربوع الذي يحفر التراب ليجد مخبأ له في باطن الأرض، يقول:[4]

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 518، 519.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 344، **آم أربع**: يريد ولدنه أربع إماء.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 128، 130.

([4]) الفرزدق،**ديوانه**، مصدر سابق، ص 95،

كُليـــبٌ دِمنـــةٌ خَبُثَـــت وَقَلَّـــت أَبـــى الآبـــي بِهَـــا إلاَ سِـــبَابَا

وَهَـــل شـــيءٌ يَكُـــونُ أَذَلَّ بَيتـــاً مِـــنَ اليَربُـــوعِ يَحتَفِـــرُ التُّرَابَـــا

ويعيرها بضعة نسبها، فبنو كليب هم أرذل الأقوام وأذلها، ولا يركبون إلا الجداء، فهم لم يكونوا من الأسياد والأشراف يوماً، فيقول محقراً من شأنها: [1]

فـــالآنَ يَـــا رُكـــبَ الجِـــداءِ هَجَـــوتُكُم بِهجَـــائِكُم وَمُحَاسِـــبِ الأعمَـــالِ

ويستمر هاجياً بني كليب وواصفهم بضئيلي القدر، وهم مثل الدويبة الصغيرة التي تخاف الرعد، وتختبئ من المطر، إنه المطر الذي يجرف كل شيء، وينتصر على الفرسان الأقوياء، حتى على القبائل مثل كليب، قائلاً:[2]

هُنَالِـــكَ لـــو نـــسبتَ بنـــي كُليـــبٍ وَجـــدتُهمُ الأِدقّـــاءَ الـــصَّغارَا

وَمَـــا غـــرَّ الوِبَـــارَ بنـــي كُليـــبٍ بِغَيثِـــي حـــينَ أنجَـــدَ واســـتطَارَا

ويَـــاراً بالفَـــضَاءِ سَـــمعنَ رَعـــداً فَحَـــاذَرنَ الـــصَّوَاعِقَ حِـــينَ ثَـــارَا

هَـــرَبنَ إلـــى مَـــدَاخِلِهنَّ منـــه وَجَـــاءَ يُقَلِّـــعُ الـــصَّخرَ انحـــدَارَا

ويصور الفرزدق والد جرير ويهجوه طاعناً بأبيه عطية، وواصفاً وضاعة والده وهو يشرب اللبن الحامض قرب الشاة التي يرعاها، قائلاً:[3]

غـــرّ كُليبـــاً ،إذ اصـــفرَّت معالِقُهـــا بـــضيغمِيّ كَريـــهِ الوجـــهِ والأَثَـــر

شُـــربُ الرّثيئـــةِ حتـــى بـــاتَ مُنكرســـاً علـــى عَطِيَّـــةَ بـــينَ الـــشَّاءِ وَالحَجَـــرِ

([1]) الفرزدق، **ديوانـه**، مصدر سابق، ص 498، **ركب الجداء:** اراد تصغيرهم وتحقيرهم ، **محاسب الأعمال:** أقسم بالله الذي يحاسب على الأعمال

([2]) **المصدر نفسه**، ص309.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 262.

ويعير الفرزدق جريراً بأن والده ينام مع الأغنام، جاعلاً مسكنه بالزرائب، ملمحاً إلى فقره وعجزه، وعدم تمكنه من توفير أدنى متطلبات المسكن، حيث يضطر أن يعيش مع الدواب، يقول:[1]

وَتَـــرَى عَطِيَّـــةَ ضَـــارِباً بفنائِـــهِ رِبقـــينِ بـــين حظَـــائِرِ الأغنـــامِ

مُتَقَلِّـــداً لأبِيـــهِ كَانَـــت عنـــدَهُ أَربَـــاقُ صَـــاحِبِ ثَلَّـــةٍ وَبِهَـــامِ

ويظهر الشاعر في هذه اللوحة مصوراً ضيق جرير من أبيه، فهو يريد أن يتخلص منه حتى لو بالقتل، فيوجه الفرزدق النصح مشفقاً به، ويرشده إلى طرق الخلاص غير القتل، وفي الصورة استهزاء وامتهان لنسب جرير ووالده لقلة شأنه في المجتمع فهو لا يساوي شيئاً، فيقول:[2]

لـــكَ الويـــلُ لا تَقتُـــل عَطِيَّـــةَ ،إنَّـــهُ أَبُـــوكَ ، وَلَكِـــن غيـــرَهُ فتبـــدَّلِ

وَبَـــادِل بـــه مـــن قـــومِ بـــضعَةَ مِثلَـــهُ أبـــاً شَـــرَّ ذي نعلـــينِ ، أو غيـــرِ مُنعـــلِ

فَـــإن هُـــم أبـــوا أن يَقبلُـــوهُ، ولـــم تَجِـــد فراقـــاً لـــهُ إلاَّ الَّـــذي رُمـــتَ فافعَـــلِ

أما جرير يصور تغلب قوم الأخطل، وتخلفهم وهوانهم على الناس، ولا يستشارون ولا يؤخذ بآرائهم، وإنما يسألون عن أخبار الناس، قائلاً:[3]

والظِّـــاعِنُونَ علـــى العميـــاءِ إن ظَعَنُـــوا والـــسَّائِلون بظهـــرِ الغَيـــبِ مـــا الخبـــرُ

وكذلك يصورهم بصورة وضيعة بين الناس، فألحقهم بأبناء الإماء، الذين لا يعرفون إلا الخدمة ورفع الأثقال، لذلك ترى عواتقهم موائل من حمل الأعدال، فيقول: [4]

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص610.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 509.

([3]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص260.

([4]) **المصدر نفسه**، ص 477.

تَفِـــدُ الوفـــودُ وَتغلِـــبٌ مَنفيَّـــةٌ خَلـــفَ الزَّوامِـــلِ والعواتِـــقُ ميـــلُ

أما الأخطل في هجائه لقبيلة جرير، فلا يشمل معها القبيلة الأم **(تميم)**، حيث يقتصر هجاؤه على كليب بن يربوع، وذلك مراعاة لحليفه الفرزدق، حيث مزج بين مفاخر قبيلته تغلب ودارم، ليفخر بها على خصمه ويهجوه من خلالها، فيقول معيرهم بوضاعة النسب:[1]

سَـــبَقوا أبـــاك بكُـــلّ مَجْمَـــعٍ تَلْعَـــةٍ بالمَجْـــدِ عِنـــد مَواقِـــف الرُّكْبـــانِ

فاخـــسأ إلَيْـــكَ كلَيْـــبُ إنَّ مجاشِـــعاً وأبـــا الفـــوارسِ نَهْـــشَلاً أخَـــوان

فـــإذا كُلَيْـــبٌ لا تُـــوازِنُ دارِمـــاً حتـــى يـــوازنَ حَـــزرمٌ بأَبـــانِ

وصور الأخطل قوم جرير **(كليب)** بصورة الفقر، ووضاعة القيمة، فهم يأكلون خبيث الزاد وحدهم، ومغفلون لا يشاركون في شؤون المجتمع، وهم أذلاء يتحكم فيهم الآخرون، ولا يجالسون علية القوم، ويشبه غدانة من بني يربوع بالأغنام الصغيرة الموجودة في الزرائب الذين يلتصقون ببعضهم في وقت البرد، وقد اصفرت لحاهم من الدخان الخارج من المداخن عندما يوقدون النار أيام الصقيع، وقد جاء الحالب بالرفاد ليحتلب فيه، فيرده البرد خالياً لشدته، ويسخر من نسائهم، ويطعن في أخلاقهن، يقول: [2]

الآكلـــون خَبيـــث الـــزَّادِ وحْـــدَهُمُ والـــسّائلون بظَهْـــرِ الغَيْـــبِ مـــا الخبـــرُ

واذْكُـــرْ غُدانَـــةَ عِـــدَّاناً مُزَنَّمـــةً مِـــن الحَبَلَّـــقِ تُبْنَـــى حوْلهـــا الـــصِّيَرُ

ومـــا غُدانَـــةُ فـــي شـــيء مكـــانَهُمُ ألحابِـــسو الـــشّاءَ حتـــى يَفْـــضُلَ الـــسُّؤُرُ

صُـــفْرُ اللَّحـــى مِـــن وَقـــودِ الأدخِنـــات إذا رَدَّ الرِّفـــادَ وكَـــفَّ الحالـــبِ القِـــرَرُ

ثـــمَّ الإيـــابُ إلـــى ســـودٍ مُدَنَّـــسَةٍ مـــا يَـــستَحينَ إذا مـــا احتكّـــتِ النُّقَـــرُ

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ص326، **.تلعة:**الأرض المرتفعة، **طريفاً:**طريف بن تميم.

([2]) **المصدر نفسه، القرر**: البرد، **مدنسة**: قذرة، **الرفاد**: قدح ضخم.

وأقــسَمَ المجْــدُ حقّــاً لا يُحــالفُهُمْ حتــى يُحــالفَ بَطْــنَ الرَّاحَــةِ الــشّعَرُ

والأخطل يتعرض لوالد جرير، فيعمد للتقليل من شأنه بالشتم وتصويره بالجبان، وقد كانت أغلب الصور التي رسمها الخصمان لوالد جرير بالجبن والفقر، ووضاعة النسب، وقد كرر ذلك كثيراً، حيث يقول:[1]

وإذا تَعاظَمَــــتِ الأمــــورُ لِــــدارِمٍ طَأطَــأتَ رَأسَــكَ عَــنْ قبَائِــلَ صِــيدِ

وإذا عَــــدَدْتَ قــــديمَكُمْ وقــــديمَهُمْ أربــــوا عَلَيْــــكَ بطــــارِفٍ وتَليــــدِ

وإذا عَــدَدْتَ بُيــوتَ قوْمــكَ لــمْ تجِــدْ بَيْتــــاً كبَيْــــتِ عُطــــارِدٍ ولَبيــــدِ

والأخطل يوجه دعوة لجرير لأن يمتهن مهنة والده، وهي رعي الأغنام بدلاً من أن يكلف نفسه أموراً عظاماً لم يتعودها، فيقول معيراً جريراً بهوان شأنه: [2]

فــانعَقْ بــضَأنِكَ يــا جرِيــرُ فإنّمــا منّتْــكَ نَفْــسُكَ فــي الخَــلاء ضَــلالا

مَنّتْــكَ نَفْــسُكَ أن تُــساميَ دارِمــاً أوْ أنْ تُــــوازِنَ حاجِبــــاً وعقــــالاً

ولقَــدْ ركِبْــتَ جريــرُ أمــراً عــاجزاً ومَنَحْــــتَ عَــــوْرَةَ أُمّــــكَ الجُهّــــالا

ويعيره ببيته الصغير الدنيء، فيقول إن بيته الحقيقي بين الزرائب مع الحيوانات: [3]

تَعَنّــــى ضــــلالاً يــــاجَريرُ وإنّمــــا محَلُّــكَ بَيْــتٌ ،حَــلَّ وسْــطَ الزَّرائــبِ

ويتعرض أيضاً لجرير وأهله بأنهم يسوقون الحمير ويرعونها، ولا يردون الماء حتى يرد القوم جميعاً، فيقول ساخراً من كليب:[4]

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ص88، **طأطأالرأس**: حناه، ***الصيد***: **الأكارم**، **أربوا**: زادوا، **الطارق**: الحديث، **التليد** :القديم، **عطارد ولبيد**: أجدادالفرزدق.

([2]) **المصدر نفسه**، ص255. **انعق**: اترك،

([3]) **المصدر نفسه** ،ص46.

([4]) **المصدر نفسه**، ص125. **هداجون**: تقارب الخطى من الكبر.

أمّــا كُلَيــبُ بــنُ يَربــوعٍ، فلــيسَ لهــم عِنـــدَ التّقـــارُطِ إيـــرادٌ ولا صـــدَرُ

مُخَلَّفـــونَ ويَقـــضِي النّـــاسُ أمـــرَهُمُ وهُـم بغَيـبٍ وفـي عَميـاءَ مـا شَـعروا

مُلَطَّمـــونَ بأعقـــارِ الحِيـــاضِ، فمـــا يَنفَـــكُّ مِـــن دارمـــيّ فـــيهِمِ أثـــرُ

علـــى العيـــاراتِ هـــدّاجونَ، قـــد بلَغَـــت نَجـــرانَ أو حُـــدّثت ســـوءاتهِم هَجَـــرُ

ويقول أيضاً مصوراً جريراً بالقذى اليسير الذي يقذف به السيل العارم، ويقصد بذلك أن لا قيمة اجتماعية له، ولا هو بذي شأن في المجتمع، فلا نسب له ليعلي من شأنه، ولا هو بصاحب مال، أو راجح العقل، وبهذه الصفات يصوره بأبشع الصور الاجتماعية وتنفي عنه صفة المعشر الإنساني، يقول: [1]

وإذا سَـــما للمَجْـــدِ فَرْعـــا وائِـــلٍ واســـتَجْمَعَ الـــوادي علَيْـــكَ فَـــسالا

كُنـــتَ القَـــذى فـــي مـــوْجِ أكْـــدَرَ مُزْبِـــدٍ قـــذَفَ الأتـــيُّ بـــهِ فـــضَلَّ ضَـــلالا

ويرى الباحث أن تصوير الخصوم لبعضهم، وما نتج من تهاجي بينهم، هو امتداد للهجاء الجاهلي الذي كان يدور على الصفات المعنوية، وفي هذا يقول: **د (إحسان النص):**"كان الهجاء الجاهلي يدور في جله حول الصفات المعنوية وقلما نجد الشاعر الجاهلي يلجأ إلى التعبير بالعيوب الخلقية والصفات الجسمانية، إذ إن منزلة المرء في المجتمع كان مردها إلى ما يتحلى به من مناقب وسجايا حميدة ولم يكن يضره أن يكون دميم المنظر قبيح الخلقة" [2]

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، ،ص254.

([2]) النص، إحسان، **حسان بن ثابت حياته وشعره**، مرجع سابق، ص 212.

مفاهيم نقائض شعراء المثلث الأموي:

تبين من خلال استقراء شعر النقائض عند جرير والفرزدق والأخطل، أنها قامت على دحض معاني نقيضة الخصم، فهذه المناقضة تتطلب قدراً كبيراً من المعرفة في ماضي قبيلة كل شاعر وتاريخها وأيامها وأنسابها وأحسابها، وبالمقابل فإنها تتطلب مقدرة على توجيه هذه المعرفة لتقوم بوظيفتها في الإفساد والهدم لصورة المهجوّ، والتقى شعراء النقائض مع بعضهم في كيفية نقضهم المعاني في نقائضهم وتصور المهجوّ بما هو واقع الحال في حياته، واستخدموا الطرق التالية في النقض[1]:

أولاً: القلب:

يقوم الشاعر الأول هاجياً، فيرد عليه الشاعر الثاني قالباً عليه معانيه ذاتها مدعياً أنها صفات وصورة المهجوّ الأول أو قومه، ومثال ذلك رد الفرزدق لمعاني جرير،حيث قال جرير هاجياً الأخطل وصوره بالعبد وعيره بنصرانيته، وبهزائم قومه تغلب في حروبها مع قبيلة قيس، ويرميه وقومه بكل مثلبة، ويصفهم بصورة الضعاف المتخاذلين:[2]

بكــرٌ أحَــقُّ بــأَن يكونُــوا مَقنعــاً أو أن يَفُــوا بحقيقــة الجيــرانِ

قَتَلــوا كُلَيــبَكُمُ بلقحــةِ جــارِهم يــا خُــزرَ تَغلــبَ لَــستُمُ بهجــانِ

والتَّغلبــيُّ علــى الجــوادِ غَنيمَــةٌ بــئسَ الحُمــاةُ عَــشيَّةَ الأرنــانِ

والتَّغلبــيُّ مُغَلَّــبٌ قَعَــدَت بــه مَــسعاتُهُ عَبــدٌ بكُــلِّ مكــانِ

تَـضَع الـصَّليبَ علــى مَـشَقٍّ عجانِهـا والتَّغلبيّــةُ غيــرَ جِــدَّ حــصانِ

([1]) انظر،الشايب،أحمد، **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، مرجع سابق، ص 27، ومابعدها، انظر عزام، محمد،**النص الغائب،تجليات التناص في الشعر العربي**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،2001،ص99,71.

([2]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 573، 576.

فقلب عليه الفرزدق معاني صورته وهجاه، حيث نال منه وصغره وحقره، وامتدح فيها قبيلة الأخطل تغلب ورفع من قيمتها وأعلى من شأنها :[1]

يـــا ابـــنَ المراغـــةِ إنَّ تغلـــبَ وائـــلٍ رَفَعُـــوا عنـــانِي فـــوقَ كُـــلِّ عِنَـــانِ

كـــانَ الهـــذيلُ يقـــودُ كُـــلَّ طِمِـــرَّةٍ دَهمـــــاءَ مُقرَبَـــــةٍ وَكُـــلَّ حِـــصَانِ

وَرَدُوا أَرَابَ بجحفـــــلٍ مـــــن وائـــــلٍ لجِـــبِ العَـــشِيِّ ضُـــبارِكِ الأَركـــانِ

لـــولَا فـــوارسُ تغلـــبَ ابنـــةِ وائـــلٍ نَـــزَلَ العـــدُوُّ عَلَيَـــكَ كُـــلَّ مَكَـــانِ

ثانياً: المقابلة والموازنة:

تكون أن يضع الشاعر الثاني من المفاخر أو المثالب ضروباً تقابل ما وضع الأول في صورة مهجوه، وتكون مناظرة لها، ومثال ذلك تفضيل الأخطل نهشلاً ومجاشعاَ **(من دارم قوم الفرزدق)** على بني كليب رهط جرير، ويصور قوم جرير بالتخلف عن دارم، وأن هؤلاء أمكن منهم في المجد والمكانة، فيقول:[2]

وإذا وردتَ المـــــاء، كـــــان لـــــدارِمٍ عِفَواتُـــــهُ وسُـــــهولَةُ الأعطـــــانِ

فاخـــسأ إلَيـــكَ كُلَيـــبُ، إنَّ مجاشِـــعاً وأبـــا الفـــوارسِ نَهـــشَلاً أخَـــوانِ

وإذا وضـــعتَ أبـــاك فـــي ميـــزانِهِم رجَحـــوا وشـــال أبـــوك فـــي الميـــزانِ

فأجابه جرير مفضلاً بني شيبان من بكر على تغلب، رهط الأخطل، وهما أبناء عمومة، ورمى الأخطل بصفة الرشوة التي رشاه بها محمد بن عمير بن عطارد، وذلك ليفضل الفرزدق على جرير قائلاً:[3]

([1])الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 639، 640.**اللجب:** الكثير الجلبة والضوضاء،**الضبارك:**الشديد العظيم.

([2]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق، تص326.**الأعطان**: مبرك الإبل

([3]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص573.

يـــا ذا العبـــاءةِ إنَّ بـــشراً قَـــد قَـــضَى أَن لا تَجُـــــوزَ حُكُومـــــةُ النَّـــــشوانِ

فَـــدَعُوا الحُكومَـــةَ لـــستمُ مـــن أَهلهـــا إنَّ الحكومـــــةَ فـــــي بَنـــــي شَـــــيبان

قَتَلـــــوا كُليـــــبكُم بلقحـــــةِ جـــــارِهِم يـــــا خُـــــزرَ تغلِـــبَ لـــستُمُ بهجـــانِ

ومن ذلك حين افتخر الأخطل بيوم **(الحَشّاك)** وهزم فيه القيسيون أمام تغلب رهط الأخطل وفيه قتل عمير بن الحباب السلمي، قائلا:[1]

أمـــسَت إلـــى جانـــبِ الحَـــشّاكِ جيفَتُـــهُ ورأسُـــــهُ دونـــــهُ اليَحمـــــومُ والـــــصّوَرُ

يـسألُهُ الـصُّبرُ مِـن غـسّان إذ حـضروا والحَـزنُ: كيـفَ قـراكَ الغِلمـةُ الجَـشَرُ

فأجابه جرير مفتخرا بيوم البشر الذي نكل فيه القيسيون بتغلب نكالاً شديداً، قائلاً:[2]

إنِّـــــي رأيـــــتكُمُ والحـــــقُّ مَغـــــضبةٌ تَخـــزون أن يُـــذكرَ الجحَّـــافُ أو زفـــرُ

فَمـــا مَنعـــتمُ غَـــداةَ البـــشرِ نِـــسوتكُم وَلا صَـــبَرتُم لقَـــيسٍ مِثـــلَ ماصَـــبرُوا

أَســـــلمتُمُ كُـــــلَّ مُجتـــــابٍ عَباءَتَـــــهُ وَكُـــــلَّ مُخـــــضَرَّةٍ القُـــــربَينِ تُبتَقَـــــرُ

ثالثاً: التوجيه:

حيث يتناول الشاعران الحادثة، وكل منهما يفسرها تفسيرا يؤيد موقفه في زيادة أو قلة في الفخر والهجاء، ومثال ذلك عندما عيَّر الفرزدق جريراً بحادثة نبو السيف في يده، مسخراً هذه الحادثة لخدمته في الهجاء، وحاول أن يصور خصمه في كل موقف أو حادثة بالجبن، فها هو السيف ينبو بيد الفرزدق، قائلاً:[3]

([1]) الأخطل، **ديوانه**، مصدر سابق،ص 123، **الحشاك:** نهر في الجزيرة، **اليحموم**: موضع في الشام، **الصبر والحزن**: فرعا من غسان.

([2]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق،ص 260،261.**المجتاب**:اللابس،**القربان**:وهو ما سفل عن الجنبين من عن يمين السرة وشمالها.

([3]) **المصدر نفسه**، ص 563.

أَكَلَّفــت قَيــساً أن نَبــا ســيفُ غالــبٍ وشــاعَت لَــهُ أُحدوثَــةٌ فــي المواسِــمِ

بِــسيفِ أَبــي رغــوانَ ســيف مُجاشــعٍ ضَـرَبتَ ولـم تـضرب بَـسيف ابـن ظـالِمِ

ضَــرَبت بــه عنــدَ الأمــامِ فأرعَــشت يــداكَ وقــالوا مُحــدثٌ غَيُــر صــارِمِ

فأجاب الفرزدق موجهاً الحادثة للفخر مصوراً نفسه بعكس صورة مهجوِّه والحط من قيمته، إذ أخذ يباهي جريراً بفك الأسرى، وعدم قتلهم قائلاً:[1]

فــلاَ نقتُــلُ الأســرَى ولكــن نَفُكُّهُــم إذا أثقــلَ الأعنَــاقَ حمــلَ المغــارِمِ

فهــل ضــربةُ الرُّومــيِّ جَاعِلــةٌ لكُــم أبــاً عــن كُليــبٍ أو أبــاً مثــلَ دارِمِ

كَــذَاكَ ســيوفُ الهنــدِ تَنبــو ظباتُهــا ويقطَعــنَ أحيانــاً منــاطَ التَّمــائِمِ

رابعاً: التكذيب والنفي:

ويقصد بها دفع الشاعر المناقب التي ينسجها الخصم إلى نفسه وقومه، والمثالب التي يقذف بها مهجوِّه وقومه ويصورهم بها، مثال ذلك، رد جرير على الفرزدق حين فخر بقومه حيث كان كثير الاعتزاز بهم وببطولاتهم وفروسيتهم وقوتهم وكثرة عددهم وبأسهم في القتال أثناء المعارك التي كان العرب يفاخرون بها معلياً شأنهم، يقول الفرزدق: [2]

منــا الــذي جمَــعَ المُلــوُكَ وَبَيــنهُم حَــربٌ يُــشَبُّ سَــعِيرُهَا بــضِرامِ

وَأَبــي ابــنُ صَعـصَعَةَ بــنِ لَيلَــى غَالِــبٌ غَلَــبَ المُلُــوكُ وَرَهطُــهُ أَعَمــامي

خَــالِي الَّــذي تَــرَكَ النَّجيــعَ برُمحِــهِ يَــومَ النَّقــا شَــرِقاً عَلَــى بِــسطامِ

مُتَجَــرِّدينَ علــى الجيَــادِ عَــشِيَّةً عُــصَباً مُجَلِّحَــةً بــدرِ ظَــلامِ

([1]) الفرزدق، **ديوانه**، مصدر سابق، ص617.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 610.

فيكذب جرير مزاعم الفرزدق لهذه المناقب من البطولات والفروسية،معرِّضاً بصورة مهجوِّه وقومه، ودمغهم بالجبن والضعف والهوان والفرار والهزائم في المعارك، يقول: [1]

مهـــلاً فـــرزدقُ إنَّ قومـــكَ فـــيهمُ خَـــوَرُ القلـــوبِ وخَّفـــةُ الأحـــلامِ

بـــئسَ الفـــوارسُ يـــومُ نعـــف قـــشاوَةٍ والخيـــلُ عاديـــةٌ علـــى بـــسطامِ

لَـــو غيـــرُكم علـــقَ الزُّبيـــرَ وَرَحلـــهُ أَدَّى الجـــوارَ إلـــى بَنـــي العَّـــوامِ

عمـــداً عـــرِّفُ بـــالهوانِ مُجاشـــعاً إنَّ اللُّئـــامَ علـــىَّ غيـــرُ كِـــرامِ

خامساً: الوعيد:

يقوم على تهديد شاعر وتوعده لشاعر آخر، والمعروف عن جرير أنه كان يخيف شاعراً بآخر، وقد حاول أن يخوف عمر بن لجأ بما فعله بالأخطل والفرزدق والبعيث ليأخذ العبرة والعظة لعله يترك الساحة وينسحب،وهذا نتيجة لتصوير مهجوِّه بأبشع الصور، وأرذل الصفات، بقوله: [2]

قَـد كـانَ لـو وِعَظـت تَـيم بغيـرهُم فـي ذي الـصَّلِيبِ وَقَينـي مالـكٍ عبَـرَ

خَـلَّ الطَّريـقِ لمـن يَبنـي المنـار بـهِ وابـرُز ببـرزةَ حيـثُ اضـطَرَكَ القـدرُ

مَازلـتَ تَحفـزُ أقـوامٌ وتَبلغنـي ذيـخَ المريِـرةَ حَتَّـى استحـصَدَ المـرزُ

قَـد حـانَ قبلـكَ أقـوامٌ فَقلـتَ لهُـم جَـدَّ النِّـضال وقلَّـت بيننـا العـذرُ

لـن تـستطيعَ بتـيم أن تُغـاليني حـينَ استحـسنَّ جـذابَ الَّنبعـةَ الـوتر

فاسـأَل نـزاراً جَميعـاً أيـنَ شـاعِرُها وشَـاعر الزُّبـدِ لمـاً أثمَـرَ الـشجرِ

([1]) جرير، **ديوانه**، مصدر سابق، ص 552،553.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 284. **ذو الصليب:** الأخطل، **وقينا مالك:** الفرزدق والبعيث.

فرد ابن لجأ الوعيد بمثله، إذ هدد جريراً بقدرته المميتة في الهجاء، وعدم محاولته الاقتراب خوفاً من سقوطه في بحر هجائه واحتراقه بناره: [1]

هبـــت الفـــرزدق واســـتعفيتني جزعـــاً للمـــوت يعمـــد والمـــوت الـــذي تـــذر

فاخـــسأ لعلـــك ترجـــو أن يحـــل بنـــا رحـــل الفـــرزدق لمـــا عظـــك الـــدبر

تهجـو بنـي لجـأ لمـا انهزمـت لـه رعبـاً وانفـــــك ممـــــا قـــــال مختـــــصر

إنِّـــي أنـــا البحـــر غمـــراً لـــست جاســـره وســـبي النـــار دون البحـــر تـــستعر

([1]) عمر بن لجأ، **شعره**، مصدر سابق، ص 93.

الخاتمة

يمكن للدراسة أن تخلص إلى عدة استنتاجات بعد دراسة النصوص المختارة من النقائض، فلا بد أن تتوفر في الشاعر الهجَّاء المقدرة على التصوير، لأنه يرصد الصور المرئية للمهجوِّ، ونقلها في صور متلاحقة مصطنعاً زوايا مختارة يركز عليها ويدقق فيها، بحساسية كبيرة، واعتماد محاور دقيقة يتخذها الشاعر لبناء قصيدة النقائض التي لا تخلو من صورة المهجوِّ.

إن براعة التصوير لدى شعراء النقائض ، مكنت الشاعر اختيار صورة المهجوِّ والسخرية منه ونقده، وتحقيق ما توخاه في تصوير أمر يريد أن ينفر منه الجميع ، ويتهكم به على المهجوِّ، بحيث يختار الشاعر اللقطة التي يروم تصويرها، ويرسمها بالكلمات المضحكة فيجعل من المهجوِّ صورة ممسوخة، وفي الوقت نفسه ينفي الصورة السلبية عن نفسه وعن قومه ويثبتها لمهجوِّه، فيكيد الخصم .

لقد بالغ كل شاعر وازداد في رسم صورة المهجوِّ، واستغل الشاعر المعطيات التي أمامه من صور المهجوِّ و بنى عليها قصيدته فبالغ واشتطَّ في التهكم، وقلب الواقع لإضحاك السامعين وشدّ انتباههم.

أما العرض الساخر **(أو التصوير الكاركيتوري)**، في القصيدة عن صورة المهجوِّ، فهو أقوى الأساليب المستعملة في هجاء المهجويين بغية الإضحاك وإذلال المهجوِّ وتشويه حقيقته.

ومن خلال استقراء صورة المهجوِّ في النقائض ، اتضح أن الشعراء الثلاثة قد اتخذوا من الأسلوب القصصي طريقاً للهجاء، ورسم صورة المهجوِّ، وهذا الأسلوب يقرب شعر النقيضة الهجائية من الصيغ النثرية التي تعتمد القصة بما فيها من سرد وحوار.

ومن الطرائف التي اتضحت في تصوير المهجوِّ، أن لجأ كل من الشعراء الثلاثة إلى أسلوب المقارنة بين المهجوِّ وخصمه، وهذا أشد إيلاماً وأمضى في الهجاء، بحيث يكوِّن الشاعر صورة مفتخراً مادحاً لنفسه ولقومه، وتقابله صورة المهجوِّ الخصم منتقصاً من قيمته وقيمة قومه، ومن وظيفة هذا الأسلوب أن يكسب الصورة حركة، ويمنح التعبير حلاوة وكذلك يعمل هذا الأسلوب على إيغار صدر خصمه بذكر المحامد مقابل مساوئ خصمه ، لإشاعة القبح في صورة المهجوّ.

امتاز كل شاعر بمهارة فائقة، وبراعة في فهم نفسية المهجوِّ وما يتفق مع صوره من ألفاظ تساعد على إبراز ما يرمي إليه من تحقير المهجوِّ.

يلاحظ على نقائض جرير بأنها تميزت بالإطالة في تصوير صورة المهجوِّ، فهو يصف مهجوِّه تفصيلاً، ويسهب في إفراغ حنقه على المهجوِّ، بحيث يشبع رغبته في القضاء على خصمه، فجرير في هجائه سلاب لكل القيم والمثل الفاضلة في المهجوِّ.

وخلصت الدراسة إلى أن الهجاء عند هذا المثلث الأموي لا يعدو عن أن يكون هجاء مباشراً بقصد التندر والإقذاع في صورة المهجوِّ، وشتمه وسبابه بالألفاظ، وهذا النوع من التهاجي لم يقدم القيمة الفنية للقصيدة، لأنه لا ينطوي على عمق الرؤيا، ولا يقصد به إلا التماجن واللهو والعبث بمصائر الآخرين وأقدارهم، فهذا النوع من الهجاء لم يصدر عن نقمة أو غيظ أو ثورة داخلية عن مبدأ، بل عن خفة وتندر.

المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم.**

2. ابن الأثير، علي بن محمد بن الجزري (630هـ)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ج1، 1965م.

3. الأخطل، **ديوانه**، سوزان عكاري، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

4. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي (356هـ)، **الأغاني**، تحقيق: لجنة من الأدباء، بإشراف عبد الستار أحمد الفراج، دار الثقافة، بيروت، م8، ج17، 1990.

5. البعيث المجاشعي، تحقيق، د. ناصر محمد حسين، دار الحرية، بغداد، 1974.

6. البهبيتي، نجيب، **تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001.

7. أبو تمام الطائي، **ديوان الحماسة**، 231هـ، تحقيق، د. عبد المنعم أحمد صالح، المكتبة الوطنية، بغداد، 1980.

8. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر بن محبوب (ت 255هـ) **البيان والتبين**، تحقيق، عبد السلام هارون،ج1، دار الفكر، بيروت.

9. جرير، **ديوان جرير**،الصَّاوي، محمد إسماعيل عبد الله، مضافاً إليه تفسيرات العالم اللغوي أبو جعفر محمد بن حبيب، دار الأندلس، بيروت، ط1،(د. ت).

10. ابـن جعفـر، قدامـة، **نقـد الـشعر**، تـح، كمـال مـصطفى، ط3، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، 1978.

11. الجمحـي، محمـد بـن سـلام ، **طبقـات فحـول الـشعراء**، تحقيـق: محمـود محمـد شـاكر، دار المدني، القاهرة، د.ت.

12. الجوهري،أبـو نـصر إسـماعيل بـن حمـاد،**الـصحاح-تـاج اللغـة وصـحاح العربيـة**، راجعـه واعتنى به: د. محمد محمد التامر وأنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2009.

13. حاوي، إيليا، **فن الهجاء وتطوره عند العرب**، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

14. حجـاب، محمـد نبيـه، **الراعـي النميـري عـصره وحياتـه وشـعره**، مكتبـة النهـضة، مـصر، القاهرة، 1963.

15. الحر، عبد المجيد، **جريـر شـاعر الجزالـة والرقـة والعذوبـة**، دار الكتب العلميـة، بيـروت، ط1، 1992.

16. حسين محمد محمد، **الهجـاء والهجـاؤون فـي الجاهليـة**،دار النهضة العربية، بيروت،ط3، 1970.

17. حـسين محمـد محمـد، **الهجـاء والهجـاؤون فـي صـدر الإسـلام**،دار النهـضة العربية،بيروت،1971.

18. الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، ط2، دار صادر، بيروت، 1995.

19. خصخوصي، أحمد، **في سيرة جرير وشعره**، ط2، دار المعارف الإسلامية، 2007.

20. خفـاجي ،عبـد المـنعم، **الحيـاة الأدبيـة فـي عـصر بنـي أميـة**، دار الكتـاب اللبنـاني،ط1، 1980م.

21. ابن خلكان،أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (681,608هـ)، **وفيات الأعيان**، إعداد، وداد القاضي، وعز الدين أحمد موسى،بإشراف د. إحسان عباس، دار صادر بيروت،1977م.

22. خليف، يوسف، **في الشعر الأموي، دراسة في البيئات**، مكتبة غريب، القاهرة، 1991.

23. الراعي النميري، **ديوانه**، تحقيق، اينهرت فايبرت، بيروت، 1980.

24. رزق،صلاح، **الأدب الأموي**، ط1، مكتبة القاهرة، 1995.

25. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، المجلد الثامن، بيروت، لبنان، ط5، 1980.

26. سراقة البارقي، **ديوانه**، تحقيق، د. حسين نصار، القاهرة، ط1، 1947.

27. الشايب، أحمد، **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، ط3، ج1، مكتبة النهضة المصرية، 1998.

28. ضيف، شوقي، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1987.

29. ضيف، شوقي، **الشعر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة، ط13، 1990.

30. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ)، **تاريخ الطبري**، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط5، ج6، دار المعارف، مصر، (د.ت).

31. طه، نعمان أمين، **جرير حياته وشعره**، دار المعارف، القاهرة، سلسلة نوابغ الفكر، (د.ت).

32. طه، نعمان محمد أمين، **السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1978.

33. عزام، محمد، **النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

34. العسكري، أبو هلال،**ديوان المعاني**، مكتبة القدسي، القاهرة، 1933.

35. عمر بن لجأ التيمي، **شعره**، د. يحيى الجبوري، دار القلم للنشر، الكويت، ط4، 1986.

36. العمري، محمد، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

37. الفرزدق، **ديوانه**، شرح الأستاذ علي فاعور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1987.

38. ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق، مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2، 1405.

39. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (276هـ)، **عيون الأخبار**، ضبطه ووثق نصوصه الداني ابن منير آل زهوي، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، 2003.

40. القيرواني،ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، ط5، 1981.

41. القيسي، نوري حمودي، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، ط2، مكتبة النهضة العربية، 1984.

42. مطلوب، أحمد،**معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، عربي، عربي**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000.

43. المعافري، عبد الملك، ابن هشام، (ت.218هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: محمد القطب ومحمد بلطة، المكتبة العصرية، بيروت، ج3، 2005م.

44. ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت.711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د.ت).

45. النص، إحسان، حسان بن ثابت، حياته وشعره، دار الفكر، ط3، 1985

46. النابغة الذبياني، أبو أسامة زياد بن معاوية بن ضباب (604)، **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، 1980.

47. الهادي، صلاح الدين، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، دار الثقافة العربية، (د.ت).

48. الوصيفي، عبدالرحمن، **النقائض في الشعر الجاهلي**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003.

الرسائل الجامعية:

1. حسين، نبيل علي محمد، **التناص عند شعراء النقائض، جرير والفرزدق والأخطل**، رسالة دكتوراه غير منشورة، أدب ونقد، جامعة اليرموك، الأردن، اربد، 2006,2005م.

2. العتري، عوض بن إبراهيم بن خليف، **أساليب الإنشاء الطلبي، في شعر جرير –دراسة بلاغية نقدية–**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2010.

3. مشتوب، سامية، **السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود معمري نيزي وزو، قسم اللغة العربية، الجزائر، 2011.

المجلات والأبحاث:

1. الغزالي، عبد الله محمد عيسى، **المكونات السردية للخبر الفكاهي –دراسة في أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي**، مجلة التراث العربي، كلية الأدب، جامعة الكويت، (د.ت).

Abstract

The. The title of the study was therefore " The Image of the Satired in the Pastiche study sought to clarify the image of the satired in the pastiche poetry using the analytical approach Poetry" at Jarir, Al Farazdaq and Al Akhatal. The researcher divided the study into a preface, two chapters and a conclusion as it was introduced as follows:

In the first chapter: It was titled "Pastiche and its Fundamentals, Emergence and Evolution in the Umayyad Era". The researcher divided this chapter into two sections as he attempted to define the concept of pastiche in language and terminologically, The emergence of this poetry form in Pre- Islam (Al Jaheleyya), tracking it to Islam era reaching to the Umayyad period. In doing so, the researcher cited some of the scholars in such poetic field.

The second chapter was entitled " The image of the satired in the pastiche poetry at Jarir, Al Farazdaq and Al Akhatal". In this chapter, the researcher attempted to examine the ethical, social and religious values in addition to clarifying the image of the satired image by speculating the forbidden and profession.

The chapter concluded with some results, including the pastiche in the Umayyad period.